

# الأئمة الأربعة

## شهموس في سماء الأمة الإسلامية

في العالم العربي سعون أثار علمائهم وعظمائهم في المراد بالملائس بعد موتهم  
وفي العالم الإسلامي بعديون انهم في حياتهم وبمرفوقهم بعد رحلتهم!!!

تأليف

أ.د/ شحات حبيب الفيومي

وكيل كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

توزيع مكتبة علاء الدين

أبو حنيفة

رحمته الله تعالى

مالك

رحمته الله تعالى

الشافعي

رحمته الله تعالى

أحمد

رحمته الله تعالى

Ibrahim M.

أبو حنيفة  
النعمان

مالك بن  
أنس

الشافعي

أحمد بن  
حنبل

# الأئمة الأربعة

شموس في سماء الأئمة

الإسلامية

تأليف

أ.د/ شحات حسيب الفيومي

وكيل كلية أصول الدين والدعوة

بالمنوفية

## المقدمة

بعد أن أتممت حفظ القرآن الكريم في «كتاب» الشيخ خليل أبو شنب وانتقلت إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم في مدينتنا للتقديم إلى المعهد الأزهرى انطلاقاً منها. وكان ناظرها الشيخ «فرج غودين» -يرحمه الله- وكان وكيلها الأستاذ/ فهمى شلبى، وقدموا الأوراق في معهد منوف، وسئل والدى يرحمه الله عن المذهب الذى يختاره لولده فاختر المذهب الشافعى وانضمت إلى سمط طلاب الأزهر وفى نهاية امتحان السنة الأولى أتى ميعاد امتحان مادة «الإملاء» وهى مادة قد لا يعيها بعض من يقومون بالتدريس فى الجامعة، فرسائل الدكتوراه الآن بها الكثير من الأخطاء الإملائية، ضللت الهمزات مواطنها وتبعثرت فى غير أماكنها، ورحم الله الأستاذ عبد الرحمن أبو عطا الله، وأطال الله فى عمر الشيخ/ محمود أحمد حماد كان كل واحد منهما يسألنى دائماً عن الهمزات وأثر ذلك فى امتحان الإملاء فى نهاية السنة الأولى:-

دق جرس امتحان مادة الإملاء وإذا بالمراقب يقول : اكتب فى وسط السطر.. وأخذ نفساً عميقاً ثم قال: «الإمام الأعظم» وسكت سكتة كسكتة حفص عند تلاوة القرآن وازدحمت الهواجس فى خاطرى هل هذا الإمام هو عمر ابن الخطاب؟ هل هو الإمام على؟ هل هو عمر بن عبد العزيز؟ وكل الطلاب صامتون وأنا الذى تجرى فى عقله هذه الهواجس رغم صمتى، حتى قطع المراقب هذا الصمت بقوله: «اكتب من أول السطر هو النعمان بن ثابت المكنى بأبى حنيفة».

و ظل يعلی علينا صوراً من حياة الإمام الأعظم أبي حنيفة.

وظلت السنون تمر وانتهينا من المرحلة الإعدادية والثانوية ثم انتقلنا إلى كلية أصول الدين بالقاهرة وكنت شغوفاً بالقراءة فهي مُحِبَّةٌ إلى نفسي وكنت أتجول في سوق الأزبكية وهو سوق فكري ينهل من ثقافته الأدباء والعلماء والخبراء والساسة وكل من يريد العلم فلقت انتباهي كتاب «أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح» فاشتريته بخمسين قرشاً، وعندما ركبت القطار متجهاً إلى بلدتنا تصفحت الكتاب في تلك الرحلة، فكنتُ أجعل القراءة الحرة في ذهابي إلى الكلية وإياي منها، ووقع بصري على نصيحة لأبي حنيفة قد وجهها لتلاميذه الذين ينهلون من ينبوعه العلمي ويعملون في حانوته التجاري، وجهها لكل واحد منهم : «لا تجلس مكان امرأة حتى يبرد المكان، ولا تصف خُفَّ امرأة فمن وصفه كأنه وصف قدمها». فقلت ما سر هذا النهي عند الإمام أبي حنيفة؟ حتى شعرت بالإجابة حين كُنَّا في شهر يناير وكان البرد فيه شديداً ونوافذ القطار مهشمة والبرد يعصف بركاب القطار وكنا نركب هذا القطار في السادسة صباحاً في أيام الشتاء وجاء القطار في هذا اليوم ناقص العربات ووقف الناس ووقفتُ بجانب كرسيٍّ من الجلد وكانت تجلس عليه امرأة وأتت محطة القناطر الخيرية وقامت المرأة لتزول وانطلقت كالسهم لأن التواني سيفقدني المقعد وجلستُ وشعرت بالدفء كأن المكان متصل بتنوير فقفزت إلى ذهني نصيحة أبي حنيفة وعرفت سر نهيه عن ذلك.

ولما أُعِرتُ إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية سمعت من طالب في الكلية اسمه أحمد الغامدي، فقه أبي حنيفة كفهقه النصاري ومكثت

مع الطلاب حولاً حتى اعترفوا بالإمام وقالوا سنقرأ كتبه فكانوا يلتقون بي ويترحمون على الرجل.

وفي محاضرة كنت ألقاها في قرية «سمادون» التابعة لمركز أشمون (بلدتنا)، وكانت في شهر رمضان، سألتني شاب بعد المحاضرة عن صدقة الفطر، وكان مما أجبت به: أنه يجوز إخراج القيمة. فقال شاب نحيف فيه نبات في عارضيه: من الذي قال بالقيمة. قلت: الإمام أبو حنيفة، وفي القيمة يسر للفقير، فهو إن أخذ القمح قام بغسله وتجفيفه وطحنه وعجنه وخبزه، فيلاقي مشقة في عصرنا أما إن أخذ القيمة اشترى ما يريد وقلت لم يخرج أبو حنيفة عن السنة فهناك حديث «اغنوهم عن الطواف في هذا اليوم». وقال الشاب معترضاً: أبو حنيفة لا يعتد برأيه. قلت له: مَنْ قال لك ذلك. قال: الدكتور/ محمد سعيد رسلان. وقال: لأن أبا حنيفة يأخذ كل شيء بالقياس. فهمت ما يريد الشاب!!.

وفي محاضرة ثانية في هذه القرية سمعت أن هذا الدكتور قال: إن علماء الأزهر كفرة لأفهم معتزلة وأشاعرة.

وأغلب الظن أن الرجل لم يقل هذا النص، ولكن أتساءل: لماذا يقال هذا الكلام بين العوام؟

من أجل ذلك أردتُ أن أكتب عن الأئمة الأربعة.

وستجد عزيزي القارئ في هذا الكتاب ما يسرك ويريحك راحة تامة.

المؤلف

أ.د/ شحات حسيب الفيومي

## منزلة العلم في الإسلام

### أولاً: دعوة الإسلام للعلم:

كانت البشرية تحبو في دروب العلم عندما بعث الله رسوله محمداً برسالته، وكانت شبه الجزيرة العربية تتخبط في الدياجير التي أطبقت عليها. وكانت الأمة سمة أهلها قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ومع تبشير فجر القرآن التي تبدد غسق الليل كان أول ما نزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأرشد الله البشرية إلى أن مصدر علمها هو خالقها. وأن وسيلة تحصيل العلم هو تقييده في السطور بالقلم. وأن القرآن كتاب هداية وعلم.

وأمر ﷺ هذه الأمة بالعلم عن طريق حشها عليه. قال تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأمر الله رسوله بالاتجاه إلى ربه راجياً منه الاستزادة من العلم قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وأخبر الرسول ﷺ بأن طالب العلم إذا خرج في طلبه فهو في طاعة الله

(٢) سورة العلق آية ١-٥.

(١) سورة الجمعة آية ٢.

(٤) سورة طه آية ١١٤.

(٣) سورة التوبة آية ١٢٢.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ» رواه الترمذی.

ولا غرو فإن العلم نور يبده دياجير الجهالة وهو ضياء السالكين إلى الله. ومصباح الراغبين في الجنة. وزاد صاحبه إلى الآخرة. يؤجر صاحبه عليه بعد موته. فهو يضيف لصاحبه عمراً على عمره. ويخلع على صاحبه الهيبة والمهابة. فالعلماء هم الناس بحق كما أخبر بذلك عبد الله بن المبارك حين سئل: «مَنْ النَّاسُ؟ فقال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين. ولم يجعل ابن المبارك غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم. فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله. وليس بقوة شخصه. فإن الجمل أقوى منه، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته فإن السبع أعظم منه، ولا بأكله، فإن الثور أوسع بطناً منه، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد - أي الجماع - منه. بل لم يخلق إلا للعلم»<sup>(١)</sup>.

والعلم غذاء للقلب والعقل كما أن الطعام غذاء للجسد وهذا ما أشار إليه لقمان عليه السلام في وصيته لولده، قال لولده: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء»<sup>(٢)</sup>.

فالعلم غذاء العقل قال فتح الموصلي: «أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى. قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت»<sup>(٣)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ١٧. (٢) المرجع السابق ص ١٨. (٣) انظر: المرجع السابق ص ١٧.

و لقد علّق على كلام فتح الموصلي الإمام الغزالي فقال: لقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة، وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال، وإن كان واقعاً فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسّر تحسراً عظيماً<sup>(١)</sup>. فطالب العلم تضع له الملائكة أجنحتها توقيراً له ولعلمه، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضِيَ بِمَا يَصْنَعُ» رواه الترمذی.

#### ● فضل العلم بأمور الدين: أي العلم الديني:

للعلم في جميع ميادين ومجالاته قدره في الإسلام فعلى المسلم أن يولي وجهه شطر العلوم المختلفة، من طب وتكنولوجيا والأسرار الكونية والأسرار النووية حتى لا تسيطر على الأرض قوى الشر لأن البشرية صارت كالغاب. والحياة فيها للأقوى فأضحى القوى يستعبد الضعيف، فعلى الضعيف أن يكسر قيده وأن يمتلك ما يمتلكه القوى حتى يردعه عن غشمه، ويدراً ظلمه، وحتى لا يتكرر ما تفعله الطاغية أمريكا، فمتى تُفريق أمة الإسلام من سبائها وتُمسح عينها من الكرى الذي أبقاها؟

فيجب أن يتعلم المسلمون سائر العلوم؛ بيد أن هناك علماً بين هذه العلوم له شرف عظيم وهو العلم بأمور الدين من أمر ونهي وأحكام وشرائع

(١) انظر: المرجع السابق.

وفهم لكتاب الله وسنة رسوله، وهذا الشرف قال عنه رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» حديث متفق عليه.

و لقد دعا رسول الله ﷺ لمن يحمل العلم ويؤديه بأن يخلع الله على وجهه الحسن والبهاء قال عليه الصلاة والسلام «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يُبلغه فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه وربّ حامل فقه ليس بفقيه» رواه الترمذی.

### ● آداب العلم :

- ١- من آداب العلم أنه يكون لله تعالى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً مما يُتغى به وجهُ الله ﷻ لا يتعلمه إلاّ ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرفاً<sup>(١)</sup> الجنة يوم القيامة» رواه أبو داود.
- ٢- كتابة العلم: على المتعلّم أن يأخذ العلم وأن يكتب ما سمعه من علم، فلقد قال الله تعالى عن وسيلة تحصيله ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- عن أبي جحيفة قال قلت لعليّ: يا أمير المؤمنين هل عندكم سؤداء في بيضاء ليس في كتاب الله؟ قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما علمته إلاّ فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن وما في الصحيفة<sup>(٢)</sup>. قلت وما في الصحيفة؟ قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يُقتل مؤمن بكَافِرٍ» رواه الترمذی.
- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب» رواه البخاری.

(١) العرف: هو الريح الطيب.

(٢) هذه الصحيفة ورقة مكتوب فيها ما يأتي بعد ذلك وكانت في جراب سيقه.

٣- أن يتجنب العالم والطالب الكذب والافتراء على النبي ﷺ وعلى غيره فإن هذا ضلال وإضلال.

٤- عدم الإفتاء بغير علم: وهذا مما عمت به البلوى في العالم الإسلامي، فدخل في ميدان الإفتاء كل من أعفى لحيته، فليس لهذا الميدان جنود يذبّون عن حماه كل متطفل وغريب عنه وليس له أسود يدفعون عنه كل متنطع. وظهرت طائفة تقرأ ظاهر النص سواء كان من القرآن أو السنة، ويقولون لا نأخذ إلاّ بالقرآن والسنة ليس لنا في هؤلاء الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد من إرب وتناولوا على هؤلاء الأئمة، ونسبت تلك الفئة أن الأئمة الأربعة هم أشدّ خوفاً لله منهم فلا يخرجون عن إطار الكتاب والسنة ولكن الله منح كل واحد منهم فهماً يغوص في أعماق الآية أو الحديث فيخرج منه معان كانت خافية على كثير من الناس ولا يخالف الكتاب والسنة، والرسول ﷺ يفعل شيئاً على هيئة خاصة ثم يفعل نفس الشيء على هيئة أخرى فيأخذ بعضهم بالهيئة الأولى والبعض بالهيئة الثانية ولكل واحد مُسوِّغ في الأخذ.

و المصيبة التي حلت بالمسلمين أن من عرف مذهباً واحداً يخطئ المذاهب الأخرى. وفهم بعض الخطباء في المساجد حديث السيدة عائشة وهو «كان رسول الله ﷺ لا يزيد على إحدى عشرة ركعة في صلاة الليل» والحديث متفق عليه. وقال هذا الخطيب: صلاة التهجد بدعة ونسى النص القرآني ونسى أحاديث قيام الليل، وتحدث هؤلاء في الأضحية واضطرب الناس وتحيروا، وفي صلاة الصبح تحولت المساجد إلى ضوضاء مزقت سكون الليل ففريق يريد القنوت، وفريق يمنع القنوت. فعلى الذي يتصدى للفتوى والحديث

أن يكون مُلماً بالمذاهب الأربعة حتى يصوب رأى من يريد القنوت ويصوب من يمنع القنوت.

٥- لمن يتصدى للفتوى أن لا يصادر على رأى الآخرين وأن يدرس الرأى الآخر، وأن يعترف بخطئه يقول أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي: أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة: وصلت الفسطاط<sup>(١)</sup> مرة فجلست مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري وحضرت كلامه على الناس فكان مما قال في أول مجلس جلست إليه إن النبي ﷺ طلق وظاهر وآلى<sup>(٢)</sup>. فلما خرج تبعته حتى بلغت معه إلى منزله في جماعة فجلس معنا في الدهليز. وعرفهم أمرى فإنه رأى إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه فما انفض عنه أكثرهم قال لي: أراك غريباً هل لك من كلام؟ قلت: نعم. قال لجلسائه: أفرجوا له عن كلامه. فقاموا وبقيت وحدي معه فقلت له: حضرت المجلس اليوم متبركاً بك وسمعتك تقول: آلى رسول الله ﷺ وصدقت وطلق رسول الله ﷺ: وصدقت. وقلت: وظاهر رسول الله ﷺ. وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون، لأن الظهار منكر من القول وزور وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ فضمني إلى نفسه وقبل رأسي وقال لي: أنا تائب من ذلك جزاك الله عني من معلّم خيراً.

ثم انقلبت عنه وبكرت إلى مجلسه في اليوم الثاني فالفيتة قد سبقني إلى الجامع وجلس على المنبر فلما دخلت من باب الجامع ورأني نادى بأعلى

(١) الفسطاط: مصر.

(٢) الظهار أن يقول لزوجته: أنت على كظهر أمي. والإيلاء: أن يحلف أن لا يجمع زوجته مدة تزيد على أربعة أشهر. فترفع أمرها إلى القاضي فيخيره بين الفء والطلاق.

صوته مرحباً بمعلمي أفسحوا لمعلمي فتناولت الأعناق إلى وحدت الأبصار نحوى - وتعرفني يا أبا بكر - يشير إلى عظيم حياته فإنه كان إذا سلم عليه أحد أو فاجأه خجل لعظيم حياته واهمراً حتى كأن وجهه طلى بجَلَنار<sup>(١)</sup>، قال: وتبادر الناس إلى يرفعونني على الأيدي ويتدافعوني حتى بلغت وأنا لعظم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض. والجامع غاص بأهله وأسأل الحياء بدني عرقاً وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم: أنا معلّمكم وهذا معلّم لنا كان بالأمس قلت لكم: آلى رسول الله ﷺ وطلق وظاهر فما كان أحد منكم فقه عني ولا ردّ عليّ، فاتبعني إلى منزلي. وقال لي كذا وكذا. وأعاد ما جرى بيني وبينه. وأنا تائب عن قولي بالأمس وراجع عنه إلى الحق فمن سمعه ممن حضر فلا يعول عليه ومن غاب فليبلغه من حضر فجزاه الله خيراً وجعل يحفل في الدعاء والخلق يؤمنون فانظروا رحمكم الله إلى هذا الدين المستين والاعتراف بالعلم لأهله على رءوس الملاء من رجل ظهرت رياسته واشتهرت نفاسته لغريب مجهول العين لا يُعرف مَنْ ولا مِنْ أين فاقتدوا به ترشدوا<sup>(٢)</sup>. لقد ساق الإمام أبو حامد الغزالي آداباً للمتعلم وآداباً للعالم والمرشد وأطلق عليها وظائف وأسوقها باختصار كبير:

#### ● آداب المتعلم:

أولاً: تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث

(١) جَلَنار: هو زهر الرمان.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١٨٢، ١٨٣.

والأخبار فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.

ثانياً: أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على معلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلفة في كل تفصيل ويدع لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ.

ثالثاً: أن يقلل طالب العلم علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة وصارفة ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾<sup>(١)</sup>. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر.

رابعاً: أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم يعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه، وإن لم يكن أستاذه

(١) سورة الأحزاب آية ٤.

مستقلاً باختيار رأى واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم.

خامساً: أن لا يدع طالب العلم فتناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة مرتبط بعضها ببعض.

### ● آداب المعلم:

للمعلم آداب وهي:

أولاً: الشفقة على المتعلمين وأن يريهم مجرى بنيه ونرى هذا في سلوك الطالب والأستاذ في القرآن الكريم فلما طلب موسى مصاحبة الخضر والتقى به ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(١)</sup>، صدر موسى طلبه بالسؤال إشفاقاً ورجاءً وتواضعاً فكان الأستاذ أشفق منه عليه ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

و من شفقة الخضر بموسى بين له مبدأ الصحبة ولم يتركه على عدم علمه بالرحلة قال له ﴿فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الكهف آية ٦٦.

(٢) سورة الكهف آية ٧٠.

(٣) سورة الكهف آية ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) سورة الكهف آية ٧٠ .

ومن رحمته بموسى: أن انفصاله عن موسى لم يكن من جانبه بل كان من جانب موسى وعند الانفصال كشف له عن الغموض الذى اكتشف الرحلة، فما أعظم هذا.

ثانياً: إن كان المعلم غنياً يكفيه ماله فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكوراً بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة عليهم، وإن لم يكن غنياً وكان فى حاجة فليأخذ.

ثالثاً: أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة.

رابعاً: أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يُصرح. وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم ويهيج الحرص على الإصرار.

خامساً: أن يقتصر بالتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينقره أو يخط عليه عقله فليثبت إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بها<sup>(١)</sup>، ومن أراد المزيد من الآداب فليول وجهه شطر السنة فى كتاب العلم فى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم.

(١) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٧٥ - ٨٩ باختصار و تصريف.

### ● ثمرة العلم:

للعلم ثمرة لصاحبه فعند خروج طالبه لتحصيله تضع الملائكة أجنحتها له احتراماً وإجلالاً لصنيعه، وبعض الكائنات الحية تستغفر له فى الدنيا وفضله يعلو على العابد المنقطع للعبادة كفضل القمر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الأنبياء فى علمهم وهذا الإرث خير من الذهب والفضة وهذا الإرث حظ كبير، فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رَضًى بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِيْنَاراً وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ» رواه أبو داود والترمذى.

وفى الدنيا أيضاً صلى الله تعالى وملائكته وأهل السموات والأرض والحيوانات والحشرات والحياتان يصلون على العلماء الذين يعلمون الناس الخير، فعن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى التَّمَلُّةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» رواه الترمذى.

وهؤلاء العلماء لهم أجور مثل أجور من طبق علمهم بعد أن علموهم وأرشدوهم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» رواه الترمذى.

ولما كانت الدنيا حقيرة ويُشرك بالله فيها وهو الخالق والرازق ويُعبد غيره ويُعصى في ملكه لعنها الرسول ﷺ واستثنى من هذا اللعن أشياء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَلِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ» رواه الترمذي.

و بعد رحيل العالم لا ينقطع ثواب علمه حين ينتفع به الناس فشواب علمه يرجع إليه فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قال رسول الله ﷺ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رواه مسلم.

#### • درجات العلماء في الآخرة:

تحدث الله تعالى عن خشية العلماء وقصر الخشية من الله عليهم فصورها في صورة بليغة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، فخشيتهم خشية خاصة بهم أهلتهم لأن يرفع الله درجاتهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

(٢) سورة المجادلة آية ١١.

## أبو حنيفة

الفقيه الفيلسوف

قال الإمام الشافعي:

«الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه»

## اسم الإمام أبي حنيفة :-

هو النعمان بن ثابت بن زوطى، وهو من أهل كابل - في أفغانستان - كان جده زوطى مملوكاً لبنى تيم الله بن ثعلبة فأعتق فولأوه لبنى تيم الله بن ثعلبه ثم لبنى قفل.

أمّا أبوه ثابت فقد ولد في ظل الإسلام<sup>(١)</sup>، وكنية النعمان بن ثابت أبو حنيفة (فعن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال : قال أبو حنيفة : لا يكتنى بكنيتي إلاّ مجنون، قال : فرأينا عدة اکتنوا بها فكان في عقولهم ضعف)<sup>(٢)</sup>.

## ميلاد أبي حنيفة :-

اختلف في ميلاده فذهب فريق إلى أنه ولد سنة إحدى وستين من الهجرة وذهب فريق آخر إلى أنه ولد سنة ثمانين من الهجرة ورجّح الخطيب البغدادي الرأى الثانى بقوله عن الرأى الأول : لا أعلم لصاحب هذا القول متابعاً.

وأجمعت الآراء على أنه توفي سنة خمسین ومائة. عن عمر ناهز السبعين عاماً<sup>(٣)</sup>.

كانت الكوفة بالعراق هي الأرض التي درج عليها الإمام أبو حنيفة وفيها عاش وترعرع. (فعن سالم البصرى قال : سمعت أبا حنيفة يقول : لقيتُ عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلتُ من أهل الكوفة. قال : أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت : نعم. قال : فمن أى

(١) راجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥.

(٢) راجع المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٣١.

الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحداً بذنب. قال: فقال لي عطاء: عرفت فالزم<sup>(١)</sup>.  
وصف أبي حنيفة :-

رجل يسير في تؤدة ورزاة، وسيط القامة ربعة ليس بالقصير ولكن إلى الطول أقرب حسن الطلعة تعلوه سمرة رقيقة وصفه حفيده عمر بن حماد بن أبي حنيفة فقال: (إن أبا حنيفة كان طوالاً تعلوه سمرة وكان لباساً، حسن الهيئة كثير التعطر يُعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن تراه)<sup>(٢)</sup>.

هذا الرجل تنم هيئته عن مقامه الرفيع وينبئك مخبره على أنه من المخلصين يعلو وجهه الوقار. له فؤاد جسور، هو الشجاعة في عنفوانها وجنان لا يطيش عند النازلة. إذا سمع اللغو ترفع عنه، هيوماً لا يتكلم إلا إذا سئل، فإذا دعت للحديث دواعيه خرجت كلماته سلسلاً يتفجر من ينبوع يفيض سلسلاً كأنه يتلقى وحيًا من السماء، أرض العراق وأرض الحجاز وسماء الشام يعرفون هذا الرجل، قال (جعفر بن ربيع: أقيمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي)<sup>(٣)</sup>.

هذا الرجل يتبين عقله من منطقته ومن مشيته، فتواه نسيم يهب على العراق والشام والحجاز ومصر. تتردد عباراته بجانب أساطين المسجد الجامع في الكوفة فتتردد أصدائها في الحرمين وفي المسجد الأقصى بيت المقدس وفي

(١) المرجع السابق ص ٣٣١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) وفيات الأعيان ج ٥ ص ٤٠٩.

جامع عمرو بمصر. يعرف العامة أنه رجل عظيم يصنع العظام ولا يصنعه الخلقاء ولا الأمراء، فإذا ولى وجهه شطر المسجد. أسرع الناس إلى ساريتته يلتمسون الدر الذي ينبثق عن فمه. يطالعهم كل آن بجلائل العلم التي ينحنى له الأفاضل من العلماء. ولو أتيح للأجيال الذين لم يعاصروا هذا الرجل أن يروه لشهدوا رجلاً هو أخلد الرجال في تاريخ الأمة الإسلامية بما بين في الفقه من خفايا ودقائق فمكّن للشرعية السمحة أسباب الانتشار فظلت كما أنزلها الله عصرية في كل عصر ومصر.

### بزوغ شمس العلم على أبي حنيفة :-

ولد أبو حنيفة كما سبق سنة ثمانين للهجرة، ولقد سُمي باسم ملك من ملوك العراق هو «النعمان بن المنذر»، ولم يتلق العلم في مدرسة ولا جامعة وإنما دخل المسجد الجامع في الكوفة ليتعلم على حصيرة.

و كان طفلاً في عصر بني أمية وكان بنو أمية في قمة المجد في حكم عبد الملك بن مروان وكانت الكوفة كأتون مستعر وكان أمير العراق في طفولة النعمان بن ثابت هو الحجاج بن يوسف الثقفي رجلاً ما يزال اسمه يجري في التاريخ الإسلامي كسفاح سفح دماء كثير من المسلمين والعلماء، فالنعمان لم يلبث وهو في بواكير حياته في ليلة ولا في نهار دون أن تصطك مسامعه بأحاديث الحجاج الطاغية الناشبة برائته في أعناق المسلمين فلم يعرف التاريخ رجلاً بهذه الغلظة والقسوة ذبح أبناء المسلمين واستحيا نساءهم في العراق عامة وفي الكوفة خاصة. وحمل الطاغية في عنقه دم العلماء (فلم يتردد أن يقتل في سنة خمس وتسعين رجلاً - ما على ظهر الأرض رجل إلا ويحتاج إلى علمه

هو سعيد بن جبير ومن بعد ذلك بعام في سنة ست وتسعين مات أستاذ العراق إبراهيم النخعي مخفياً عن عيونه<sup>(١)</sup>.

ولما يفع الفتى الأسمر الموهوب أبو حنيفة كان الحجاج جبار الأرض قد قبضه جبار السماء فأهلكه، ورحل إلى دار الجزاء مخلفاً في الدار القانية أحاديث مآسية.

### ابتداء أبي حنيفة في النظر في العلم :-

لقد دعا علي بن أبي طالب عليه السلام لثابت والد أبي حنيفة وكان صغيراً دعا له بالبركة فيه وفي ذريته، فعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: (والله ما وقع علينا رقٌّ قط وُلد جدي - أبو حنيفة - في سنة ثمانين وذهب ثابت - والد أبي حنيفة - إلى علي بن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب الله ذلك لعلي بن أبي طالب فينا والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي قدّم الفالودج<sup>(٢)</sup>، في يوم النوروز<sup>(٣)</sup> فقال: نوروزنا كل يوم. وقيل كان ذلك في المهرجان، فقال: مهرجاننا كل يوم<sup>(٤)</sup>).

فبركة دعوة الإمام علي بن أبي طالب حلت في أبي حنيفة وذريته.

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١١.

(٢) الفالودج: حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل أو من النشا والسكر والماء.

(٣) النوروز: أو النوروز: هو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية وهو أكبر الأعياد الإيرانية ويوافق الحادي والعشرين من شهر مارس.

(٤) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٦.

### رؤيا الإمام أبي حنيفة :-

(عن شعيب بن أيوب حدثنا أبو يحيى الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول رأيت رؤيا أفرغتني حتى رأيت كأنني أنبش قبر النبي صلى الله عليه وآله فأتيت البصرة فأمرت رجلاً يسأل محمد بن سيرين - عن تأويلها - فسأله فقال: هذا رجل ينبش أخبار النبي صلى الله عليه وآله - وروى - عن هشام بن مهران يقول: رأى أبو حنيفة في النوم كأنه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وآله فبعث من سأل محمد بن سيرين فقال محمد بن سيرين: مَنْ صاحب هذه الرؤيا؟ فلم يجبه عنها ثم سأله الثانية فقال: مثل ذلك. ثم سأله الثالثة. فقال: صاحب هذه الرؤيا يثير علماً لم يسبقه إليه أحد قبله. قال: هشام: فنظر أبو حنيفة وتكلم<sup>(١)</sup>).

فهذه إرهابات تنبئ عن عقلية هذا الرجل.

و لقد وردت أقوال مختلفة عن الإمام أبي حنيفة في ابتداء نظره في العلم:-

أولاً: حدثنا الحسن بن أبي مالك عن أبي يوسف قال: قال أبو حنيفة لما أردت طلب العلم جعلت أتحير العلوم وأسأل عن عواقبها: فقيل لي: تعلم القرآن.

فقلت: إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره؟

قالوا: تجلس في المسجد وقرأ عليك الصبيان والأحداث ثم لا تلبث أن تخرج فيهم من هو أحفظ منك - أو يساويك - في الحفظ فتذهب رياستك.

(١) المرجع السابق ص ٣٣٥.

قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني؟  
قالوا: إذا كبرت وضعفت وحدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان  
ثم لا تأمن أن تغلط فيرمونك بالكذب فيصير عاراً عليك في عقبك.  
فقلت: لا حاجة لي في هذا.

قلت: أتعلم النحو. فقلت: إذا حفظت النحو والعربية ما يكون آخر  
أمرى؟

قالوا: تقعد معلماً فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة.  
قلت: وهذا لا عاقبة له.

قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني. ما يكون أمرى؟  
قال: تمدح هذا فيهب لك أو يحملك على دابة أو يخلع عليك خلعة وإن  
حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات.

قلت: لا حاجة لي في هذا.  
قلت: لا يسلم من نظر في الكلام من مشنعات الكلام فيرمى بالزندقة  
فإما أن تؤخذ فتقتل. وإما أن تسلم فتكون مذموماً ملوماً.

قلت: فإن تعلمت الفقه؟  
قالوا: تُسأل وتُفتى الناس وتُطلب للقضاء. وإن كنت شاباً.

قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا. فلزمت الفقه وتعلمته<sup>(١)</sup>.  
ثانياً: لاحت على الحدث الناشئ - أبي حنيفة - مخائل النجاسة وتعارفها  
الناس حتى بلغ حديثها قاضي الكوفة وزعيم محدثيها في عصره الإمام الشعبي

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١ ، ٣٣٢.

فلما مر به يوماً دعاه قائلاً: إلى من تختلف؟ قال: أختلف إلى السوق.  
وسمى له أستاذه في السوق. قال الشعبي: لم أعن الاختلاف إلى السوق،  
بل عنيت الاختلاف إلى العلماء، قال: إن قليل الاختلاف إليهم. قال الشعبي:  
عليك بالنظر في العلم<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: عن زفر بن الهذيل قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في  
الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً يُشار إلى فيه بالأصابع. وكنا نجلس بالقرب من  
حلقة حماد بن أبي سليمان فجاءتني امرأة فقالت: رجل له امرأة أمة أراد أن  
يطلقها للسنة كم يُطلقها فلم أدر ما أقول فأمرتها تسأل حماداً ثم ترجع  
فتخبرني فسألت حماداً فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم  
يتركها حتى تحيض حيضتين فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج فرجعت  
فأخبرتني فقلت لا حاجة لي في الكلام. وأخذت نعلي فجلست إلى حماد  
فكنت أسمع مسائله فأحفظ قوله ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطي أصحابه  
فقال لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة فصحبته عشر سنين<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو حنيفة بطل الحرية و التسامح في الإسلام ص ١١.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٣.

## في مدرسة حماد بن سليمان العكلى

اختار أبو حنيفة المدرس فاختر أبا إسماعيل حماد بن سليمان العكلى الكوفى فى المسجد الجامع.  
 رآه حماد «فقال له : ما جاء بك؟ قال : تعلّم العلم. قال : تعلّم كل يوم ثلاث مسائل»<sup>(١)</sup>.

انضم أبو حنيفة حنيفة إلى تلاميذ الحلقة يحفظ مسائله ويجتريها فى الغداة فيخطئ التلاميذ ويصيب أبو حنيفة ويسأل ويكثر الأسئلة ويلجّ فى الجدال حتى ليحمرّ وجه حماد.

بيد أن الأستاذ يدرك مواهب تلميذه من عمق أسئلته ومن صلته بالله تعالى.  
 «قام يوماً من مجلسه فقال حماد لجاره : هذا على ما ترى منه يقوم الليل ويحييه. وقال أبو حنيفة عن نفسه فيما بعد ذلك كنت أكثر السؤال فربما تبرّم بي - أى ضاق صدره - ويقول أبا حنيفة قد انتفخ جنبى وضاق صدرى»<sup>(٢)</sup>.  
 لقد أحبّ أبو حنيفة أستاذه وأحبّه أستاذه وحظى أبو حنيفة بنصيب من الرعاية والعناية وتوثقت غرى المحبة بينهما ونرى ذلك فى حديث إسماعيل بن حماد قال : «غاب أبى غيبة فى سفر له ثم قدم فقلت له يا أبت إلى أى شىء كنت أشوق؟ قال : وأنا أرى أنه يقول إلى ابنى. فقال إلى أبى حنيفة . ولو أمكننى أن لا أرفع طرفى عنه فعلت»<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح فى الإسلام ص ١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٤.

فى ظل هذا الحب من شيخه فهل أبو حنيفة من ينبوع علم حماد. فكان يسهر مع جماعة من أصحابه فى دار حماد يتدارسون «وكان للشيخ ديك يصيح من أوّل الليل فكانت العلامة بين حماد وأصحابه أن يصيح الديك فإذا صاح قام حماد فينفرط عقد الجماعة ويقول أبو حنيفة : يا لك من ديك قبحك الله قطعت حديثنا. إن شر الديكة ما صاح أول الليل»<sup>(١)</sup>.

أراد أبو حنيفة أن يخلّد اسم شيخه فسمّى ولده حماداً حتى يضىء اسم شيخه البيت كما أضاء علمه عقله.  
 لم يعلم حماد أباً حنيفة العلم فقط بل علمه التطبيق فهو رجل «كان آية فى الزهد والورع يُفطر كل ليلة فى شهر رمضان خمسين إنساناً فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً»<sup>(٢)</sup>. ولقد صار ذلك فى سلوك أبى حنيفة.

حينما بلغ أبو حنيفة ثلاثين سنة حدثته نفسه أنه أوتى حظاً من المعرفة وأنه أَلَمَّ بالفقه الإسلامى وأنه يستطيع أن يعطى الناس مما فتح الله عليه فخرج يوماً بالعشى تنازعه نفسه طلب الرياسة فدخل المسجد وأوى إلى ركن بعيد عن حلقة أستاذه يكون لنفسه حلقة أخرى فرمى ببصره فى أرجاء المسجد فرأى أستاذه كواسطة العقد فى حلقة فبهجته الذكريات ولم تطب نفسه أن تفارق هذا الأستاذ العظيم الذى قال عنه «صحبتة عشر سنين ثم نازعتنى نفسى الطلب للرياسة فأحببت أن أعزله وأجلس فى حلقة لنفسى فخرجت بالعشى وعزمى أن أفعل فلما دخلت المسجد فرأيت أنه لم تطب نفسى أن أعزله فجاءه فى تلك الليلة نعى قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح فى الإسلام ص ١٦.

(٢) المرجع السابق.

غيره فأمرني أن أجلس مكانه»<sup>(١)</sup>.

### جلوس أبي حنيفة في مكان شيخه:

رحل حماد إلى البصرة ليأخذ إرثه من قريبه ولقد دعت الدواعي أن يعزم أبو حنيفة على أن لا يفارق حماداً.

منها: أنه قال: «فما هو إلا أن خرج حماد حتى وردت على مسائل لم أسمعها منه فكنت أجيب وأكتب جوابي فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين فأليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت فلم أفارقه حتى مات»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أنه قال: «قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب . فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً حتى يموت فصحبته ثمان عشرة سنة»<sup>(٣)</sup>. ظل أبو حنيفة ملازماً لشيخه حماد.

### خلاف بين أبي حنيفة وأستاذه:

كانت عادة أبي حنيفة أنه يأخذ عن شيخه الفقه وكان له عقل يحص ويدقق فيما أخذه عن شيخه وحين لا يروق له شيء فيما أخذه عنه لا يجد حرجاً في مخالفته:

خرج أبو حنيفة حنيفة مع أستاذه يشيعان جنازة «فسأل رجل حماداً إنني على دابة سيور وقد غابت الشمس ولست على الوضوء. قال له: تيمم، لكن

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

الرجل سأل أبا حنيفة فقال: سر وانتظر غيبوبة الشفق فإذا خشيت ذلك فتيمم وصل وسار الرجل فصادفه الماء فتوضأ وهكذا لم يُجز للرجل أن يتيمم ما دام يغلب على الظن وجود الماء وفي الوقت سعة طلباً للكمال بالطهارة الأصلية. وهي أول فتوى خالف فيها أستاذه»<sup>(١)</sup>.

### أستاذة أبي حنيفة

لقد أخذ أبو حنيفة علمه عن كثير من العلماء:-

منهم: حماد بن أبي سليمان «أخبرنا محمد بن فضيل هو البلخي العابد، أنبأنا أبو حنيفة مطيع قال: قال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟ قال: قلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، قال: فقال أبو جعفر: بخ بخ<sup>(٢)</sup> استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين صلوات الله عليهم وحدثنا ابن أبي أويس قال: سمعت الربيع بن يونس يقول: دخل أبو حنيفة يوماً على المنصور وعنده عيسى بن موسى. فقال: للمنصور هذا عالم الدنيا اليوم. فقال له: يا نعمان عمن أخذت العلم؟

قال: عن أصحاب عمر عن عمر. وعن أصحاب علي عن علي. وعن أصحاب عبد الله عن عبد الله وما كان في وقت بن عباس على وجه الأرض

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١٦ ، ١٧.

(٢) بخ بخ: بفتح الباءين: وكسر الخاءين مع التنوين. أو تسكينهما، وتقال عند الرضا والإعجاب أو المدح أو الفخر.

أعلم منه . قال : لقد استوثقت لنفسك»<sup>(١)</sup>.

فلقد تفقه أبو حنيفة على يد حماد وكان له تأثير كبير في شخصيته وأدركه أبو حنيفة فكان دائم الاستغفار لأستاذه (فعن إبراهيم بن سماعة - مولى بني ضبة - قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً»<sup>(٢)</sup>).

- ولقد جمع بعض العلماء مشايخ أبي حنيفة من الصحابة في نظم قال فيه :

«لقي الإمام أبو حنيفة ستة من صحب طه المصطفى المختار  
أنساً وعبد الله نجل أنيسهم وسمي ابن الحارث الكرار  
و زاد ابن أوفى وابن وائلة الرضى واضمم إليهم معقل بن يسار

و علق أبو الفلاح عبد الحى بن العماد : على هذا القول : فقال ولكن لم تثبت له رواية عن أحد منهم . وإنما روى عن عطاء بن أبي رباح»<sup>(٣)</sup>.

«وذكر الحافظ العامري في تأليفه الرياض المستطابة وكذلك ملخصه صالح بن صلاح العلاني ومن خطه نقلت أن الإمام أبا حنيفة رأى عبد الله بن الحرث بن جزء الصحابي وسمع منه قوله ﷺ : من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن خلكان : «أدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم : أنس بن مالك . وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن وائلة بمكة ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ

عنه ، وأصحابه - أى أبي حنيفة - يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم . ولم يثبت ذلك عند أهل النقل»<sup>(١)</sup>.

### ميلاد مدرسة أبي حنيفة :

في سنة عشرين ومائة من الهجرة رحل عن دنيا الناس حماد أستاذ أبي حنيفة فصعدت روحه إلى بارئها فاجتمع الناس إلى ابنه إسماعيل وكان أغلب علم إسماعيل في التاريخ والأدب فلم يلق الناس عنده كبير عناء فأخذ المجلس موسى بن كثير وكانوا يحتملونه وإن لم يكن فارها - أى حاذقاً ماهراً - في الفقه لأنه لقي المشايخ الكبار ثم خرج حاجاً فجلس الناس إلى أبي بكر النهشلي فأبي فسألوا أبا بردة فأبي ، وخلقى بين المجلس وأبي حنيفة فوجدوا عنده ما لم يجدوا عند أحد منهم في كل الأبواب نفاذاً وعلماً بارعاً فلزموه وتركوا ما سواه»<sup>(٢)</sup>.

أجل : كان أبو حنيفة حاذقاً عالماً ، ذا عقل ثاقب وفكر عميق يسير أغوار الفقه ، قال عنه صاحب «شذرات الذهب» : «كان من أذكاء بني آدم جمع الفقه والعبادة والورع والسخاء وكان لا يقبل جوائز الدولة - أى الحكام - بل ينفق ويؤثر من كسبه له دار كبيرة لعمل الخبز وعنده صنائع وأمراء - رحمه الله - تعالى»<sup>(٣)</sup>.

ومجلس أبي حنيفة تظلمه سحب الوقار ، ويكتنفه الصمت ، قال عنه ابن المبارك : «ما كان أوفر مجلس أبي حنيفة ، كان يشبه الفقهاء وكان حسن

(١) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ج ٥ ص ٤٠٦ .

(٢) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١٧ .

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٤ .

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ١ ص ٢٢٧ .

### أقوال العلماء فى أبى حنيفة :

لهذا الإمام حُسَّادٌ وحاقدون ويبدو أنه ابتلى بهذا فكل عصر تخرج الضفادع ترسل نقيقتها إذا حل الظلام، وحتى بعد رحيله تجدد الكلاب تنبح على الأسد بعد ما مات ورحل عن الدنيا وهذا ليس من الشجاعة فى شيء وليس من أخلاق الإسلام. إن هذا العملاق جبل يهزأ بالعواصف ويصدها.

«حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الرزاق قال: شهدت أبا حنيفة فى مسجد الحَيْف فسأله رجل عن شيء فأجابه. فقال رجل: إن الحسن يقول كذا وكذا، قال أبو حنيفة: أخطأ الحسن، قال: فجاء رجل مغطى الوجه قد عصب على وجهه فقال: أنت تقول أخطأ الحسن يا ابن الزانية؟ ثم مضى فما تغيّر وجهه ولا تلوّن ثم قال: إى والله أخطأ الحسن، وأصاب ابن مسعود»<sup>(٢)</sup>.

ومن شيوخه ورد عنه (حدثنا حامد بن آدم قال: سمعت سهل بن مزاحم يقول: سمعت أبا حنيفة يقول: قال الله تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال: كان أبو حنيفة يكسر من قول: اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له. ويقول: الحسن بن زياد اللؤلؤى: يقول أبو حنيفة: قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٥٢.

(٣) المرجع السابق.

وبهذا يتبين لنا أن العملاق يثق بنفسه ويدرك صواب قوله. لقد عرف فريق من المخلصين فى هذه الأمة صواب فقه أبى حنيفة وهم جهابذة وقولهم فى الإمام أبى حنيفة يدحض ثرثرة الحاقدين عليه.

ويكفى قولهم فيه :

### على بن المدينى

«حدثنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا جدى قال: سمعت على بن المدينى يقول: كان يزيد بن زريع يقول: وذكر أبو حنيفة: هيهات طارت بفتياه البغال الشهب»<sup>(١)</sup>.

### الإمام الشافعى

«حدثنا محمد بن إبراهيم بن على قال: سمعت حمزة بن على البصرى يقول: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعى يقول: الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه» وقال هارون بن سعيد: سمعت الشافعى يقول: ما رأيت أحداً أفقه من أبى حنيفة. وقال حرملة بن يحيى: سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة. قال: وسمعت - يعنى الشافعى - يقول: كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى، ومن أراد أن يتبحر فى تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان. وحدثنا أحمد بن الصلت الحماني قال سمعت أبا

عبدة يقول: سمعت الشافعي يقول: من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه»<sup>(١)</sup>.

#### الإمام مالك

«حدثنا محمد بن أيوب الضرير، حدثنا أحمد بن الصباح: سمعت الشافعي قال: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته»<sup>(٢)</sup>.

#### يحيى بن معين

«حدثنا أحمد بن عطية قال: سمعت يحيى بن معين يقول: القراءة عند قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس. وقال: كم من شيء حسن قاله أبو حنيفة»<sup>(٣)</sup>.

#### سفيان بن عيينة

«حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: شيان ما ظننت أنهما يجاوزان قنطرة الكوفة وقد بلغا الآفاق: قراءة حمزة، ورأى أبي حنيفة»<sup>(٤)</sup>.

#### الإمام وكيع

«حدثنا أحمد بن الصلت قال: سمعت مئيع بن وكيع يقول: سمعت أبي يقول: ما لقيت أحداً أفقه من أبي حنيفة ولا أحسن صلاة منه»<sup>(٥)</sup>.

#### يحيى القطان

«عن أبي جعفر بن أشرس يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت يحيى القطان يقول: لا تكذب الله ربما أخذ بالشيء من رأى أبي حنيفة. وقال سعيد القاضى: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان: لا تكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة ولقد أخذنا بأكثر أقواله، قال يحيى ابن معين: وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين ويختار قوله من أقوالهم ويتبع رأيه من بين أصحابه»<sup>(١)</sup>.

#### جعفر بن الربيع

«حدثني محمد بن هانئ قال: سمعت جعفر بن الربيع يقول: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادی وسمعت له دويلاً وجهارة بالكلام»<sup>(٢)</sup>.

#### عبد الله بن المبارك

لقد أردت أن أختتم سلسلة هؤلاء العلماء الذين عرفوا قدر الإمام أبي حنيفة وتأملوا فقهه فشهدوا شهادة الحق في الرجل وهناك كثير من العلماء غصضت الطرف عنهم، والحلقة الأخيرة هي عبد الله بن المبارك.

«حدثنا أبو وهب محمد بن مزاحم قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: رأيت أعبد الناس، ورأيت أروع<sup>(٣)</sup> الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس فعبد العزيز بن أبي رواد، وأما أروع الناس فالفضيل

(١) المرجع السابق.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٩٩.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٧.

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٦.

(٥) المرجع السابق ص ٣٤٥.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخوفهم من الله.

ابن عياض، وأما أعلم الناس فسفيان الثوري، وأما أفقه الناس فأبو حنيفة، ثم قال: ما رأيت في الفقه مثله.

وحدثنا محمد بن مقاتل قال: سمعت ابن المبارك قال: إن كان الأثر قد عُرف واحتيج إلى الرأي فرأى مالك، وسفيان، وأبي حنيفة .. وأبو حنيفة أحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وهو أفقه. وقال ابن المبارك: إن كان أحد ينبغي له أن يقول برأيه فأبو حنيفة ينبغي له أن يقول برأيه» (١).

عبد الله بن المبارك يمدح أبا حنيفة بابيات من الشعر، قال:

رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ كُلَّ يَوْمٍ      يَزِيدُ نَبَالَهٗ وَيَزِيدُ خَيْرًا  
وَيَنْطَبِقُ بِالصَّوَابِ وَيَصْطَفِيهِ      إِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْجَوْرِ جَوْرًا  
يُقَاسُ مَنْ يَقَاسِيهِ بِلُوبِ      فَمَنْ ذَا يَجْعَلُونَ لَهُ نَظِيرًا  
كَفَانَا فَقَدْ حَمَادٌ وَكَانَتْ      مَصِيبَتَنَا بِهِ أَمْرًا كَبِيرًا  
فَرَدُّ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ عَنَّا      وَأَبْدَى بَعْدَهُ عِلْمًا كَثِيرًا  
رَأَيْتُ أَبَا حَنِيفَةَ حِينَ يَوْتِي      وَيُطَلِّبُ عِلْمَهُ بِحِرَا غَزِيرًا  
إِذَا مَا الْمَشْكَلَاتُ تَدَافَعَتْهَا      رَجَالُ الْعِلْمِ كَانَ بِهَا بَصِيرًا

و قال أبو القاسم، غسان بن محمد بن عبد الله بن سالم التميمي:

وَضَعَ الْقِيَاسَ أَبُو حَنِيفَةَ كُلَّهُ      فَاتَى بِأَوْضَحِ حُجَّةٍ وَقِيَاسٍ

(١) المرجع السابق ص ٣٤٣.

وبقي على الآثار رأس بنائه      فَأَتَتْ غَوَامِضُهُ عَلَى الْأَسَاسِ  
وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَ فِيهَا قَوْلَهُ      لَمَّا اسْتَبَانَ ضِيَاؤُهُ لِلنَّاسِ

### • حُصَادُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ :

من الجهال من رمى الإمام أبا حنيفة بالاعتزال والإرجاء، وهم الحساد على أبي حنيفة رحمته الله وساقوا روايات مدسوسة على الرجل حتى النسائي ضَعَّفَ الإمام مع أن مشايخه عدَّلُوا أبا حنيفة وكل هذه الافتراءات يدحضها أقوال علماء الأمة وإجماعها على مذهبه. ولا نلتفت إلى كذبهم ولقد قيض الله للإمام أبي حنيفة من دافع عنه وكذب هؤلاء بالحجة والبرهان.

### • أَبُو حَنِيفَةَ الْعَابِدُ :

مما لا مرأى فيه أن علم أبي حنيفة رحمته الله يكون ضياء له في درب عبادته، ويعرف من هذا العلم كيف الوصول إلى الله تعالى، ويعرف أخصر الطرق إليه، ويعرف بعلمه الطريق المعبدة التي لا تكتنفها المهالك، ولا يكون فيها زلل ولا انزلاق، ويعرف بعلمه مواقيت الاتصال التي تكون فيها النفحات وتكثر فيها الرحمات، ويعرف بعلمه طريق المخلصين الذي ينأى الشيطان عنه ولا يحاول السير فيه ويعرف بعلمه كيف يحارب إبليس ويزجره.

### • أَعْبَدَ عَابِدٌ فِي الْكُوفَةِ :

رُوي أن «الحسن بن محمد الليثي قال: قدمت الكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدفعت إلى أبي حنيفة، وعن سويد بن سعيد يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة، وعن علي

ابن أحمد الفارسي حدثنا محمد بن فضيل قال: قال أبو مطيع: كنت بمكة فما دخلت الطواف ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان في الطواف. وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يُسمَّى الوتد لكثرة صلاته<sup>(١)</sup>.

#### • قيامه الليل:

أدرك أبو حنيفة أن الليل سكن تنام فيه العيون، ويتقلب في مضاجعهم النائمون، وتتجافى جنوب المخلصين عنها فيلجأون إلى الحى القيوم، أحسُّوا بالغربة في دار الشقاء ففاتوا مضاجعهم ليتقربوا إلى مولاهم، فطفقوا يصلون، وراحوا بحديث الله - القرآن - معه يتسامرون، ولا غرو فالله ﷻ قال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد انخرط أبو حنيفة في سلك القائمين بالليل، ولقد عرض لأبي حنيفة أمر فكره أن يُحمد بما لا يفعل وهو:

قال بشر بن الوليد: «حدثني أبو يوسف، قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمع رجلاً يقول لرجل هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: لا يتحدث أحد عني بما لا أفعل فكان يحكي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً»<sup>(٣)</sup>.

و يبدو أن قول الرجل عن أبي حنيفة قد وضع أبا حنيفة في حياء مع خالقه، فاستحيا أن يقال فيه ذلك وهو يقصر فيحمد بما لا يفعل فأقسم أن يواظب على قيام الليل. ولقد وردت عنه روايات متعددة.

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٥٣ ، ٣٥٤.

(٢) سورة المزمل آية ٦.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٥٥.

«حدثنا حفص بن عبد الرحمن، قال: كان أبو حنيفة يحكي الليل بقراءة القرآن في ركعة ثلاثين سنة، وقال زافر بن سليمان: كان أبو حنيفة يحكي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن. وحدثنا حماد بن قريش قال: سمعت أسد بن عمر يقول: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة. وكان يُسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه»<sup>(١)</sup>.

#### • ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة<sup>(٢)</sup>

«حدثنا إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه، قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمار أن يتولى غسله ففعل فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك، لم تُفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة وقد أتعبت من بُعدك وفضحت القراء.

وحدثني أحمد بن إبراهيم قال: سمعت منصور بن هاشم يقول كنا مع عبد الله بن المبارك بالقادسية إذ جاءه رجل من أهل الكوفة فوقع في أبي حنيفة فقال له عبد الله:

ويحك أتقع في رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد؟ وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة، وتعلمتُ الفقه الذي عندي من أبي حنيفة.

(١) المرجع السابق ص ٣٥٤.

(٢) المرجع السابق.

وحدثني سالم بن سالم عن أبي الجويرية قال: صحبت حماد بن سليمان ومخارب بن دثار وعلقمة بن مرثد وعون بن عبد الله وصحبت أبا حنيفة فما كان في القوم رجل أحسن ليلاً من أبي حنيفة، لقد صحبتته أشهراً فما منها ليلة وضع فيها جنبه. وحدثنا أبو يحيى الحماني، عن بعض أصحابه أن أبا حنيفة كان يصلي الفجر بوضوء العشاء. وكان إذا أراد أن يصلي من الليل تزئّن حتى يسرح لحيته. وعن مسعر بن كدام، قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده فرأيتَه يصلي الغداة - الفجر والصبح - ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة؟ لاتعاهدته الليلة، قال: فتعاهدته، فلما هدا الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر. ودخل منزله ولبس ثيابه، وخرج إلى المسجد وصلى الغداة فجلس للناس إلى الظهر ثم إلى العصر، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء، فقلت في نفسي: إن الرجل قد تنشط الليلة لاتعاهدته الليلة، فتعاهدته فلما هدا الناس خرج فانتصب للصلاة ففعل كفعله في الليلة الأولى فلما أصبح خرج إلى الصلاة، وفعل كفعله في يوميه، حتى إذا صلى العشاء قلت في نفسي إن الرجل لينشط الليلة واللييلة لاتعاهدته الليلة ففعل كفعله في ليلتيه فلما أصبح جلس كذلك، فقلت في نفسي لألزمته إلى أن يموت أو أموت، قال: فلازمته في مسجده، قال: ابن أبي معاذ فبلغني أن مسعراً مات في مسجد أبي حنيفة في سجوده وقال حفص بن عبد الرحمن، قال: سمعت مسعر بن كدام يقول: دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحلّيت

قراءته فقرأ سبعاً، فقلت يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة، فنظرت فإذا هو أبو حنيفة. وقال النخعي حدثنا إبراهيم بن مخلد البلخي حدثنا إبراهيم بن رستم المروزي قال: سمعت خارجة بن مصعب يقول: ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة: عثمان بن عفان، وقيم الداري، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة.

#### • ليل أبي حنيفة خوف وبكاء وتضرع:

رجل حركته في الحياة محيطها المسجد وطريقه وبيته فحركته لله تعالى، وجلوسه في المسجد للعلم والعبادة رباط في سبيل الله، ومع هذا كان يخشى الله تعالى، فإذا انصرف الناس إلى منازلهم بقي أبو حنيفة في بيت الله فيشتغل بالله ومن شدة الخوف تزرف عيناه الدمع فيجري متحدراً على وجنتيه منساباً على صدره وهو لا يدري شيئاً عن حاله، فقلبه مع خالقه فوصفه الذين اطلعوا على حاله.

«حدثنا أحمد بن يونس قال: سمعت زائدة يقول: صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد. قال: فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة حتى بلغ هذه الآية ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَائًا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فأقمت في المسجد أنتظر فراغه فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر».

و قال أبو نعيم ضرار بن صرد سمعت يزيد بن الكميت يقول: - وكان من خيار الناس - كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة - إذا زلزلت - وأبو حنيفة خلفه، فلما

## القياس في نظام الإسلام

القياس (هو حمل معلوم على معلوم لمساواته في علّة حكمه، هكذا في جمع الجوامع)<sup>(١)</sup>.  
(وعرّف القياس في «التلويح» بأنه مساواة فرع للأصل في علّة حكمه، ولا يمكن القياس في كل معلومين بل إذا كان بينهما أمر مشترك يوجب الاشتراك في الحكم ويسمى علّة الحكم والقياس قسمان: جلي وخفي ويسمى الخفي بالاستحسان)<sup>(٢)</sup>.  
● القياس في القرآن الكريم:

لقد ورد ذكر القياس في القرآن الكريم مراراً منها:

١- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. فقياس البعث وإخراج الموتى على إنزال المطر على الأرض الميتة الجلدية فأخرج به نباتات كثيرة وبساتين وفيرة. كذلك البعث.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. فهنا قياس حيث قاس الإعادة والبعث على الخلق الأول الذي بدأه، ولقد وضح ذلك في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) مجموع الردود الشاملة: لسيدى / محمد إبراهيم سالم ص ٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الأعراف آية ٥٧.

(٤) الأعراف آية ٢٩.

(٥) سورة الروم آية ٢٧.

قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يفكر ويتنفس، فقلت أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم قد أخذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزى بمشقة ذرة خيراً خيراً، ويا من يجزى بمشقة ذرة شراً شراً، أجر النعمان عبدك من النار، وما يقرب منها من سوء وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذنت فإذا القنديل يزهر وهو قائم. فلما دخلت قال: تريد أن تأخذ القنديل، قال: قلت قد أذنت لصلاة الغداة، قال: اكتم على ما رأيت. وركع ركعتي الفجر وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وحدثنا القاسم بن معين أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ﴾ يرددنها ويكي ويتضرع<sup>(١)</sup>.  
قال عنه مسعر بن كدام «من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله رجوت أن لا يخاف ولا يكون قد فرط في الاحتياط لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٥٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٩.

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١). فلقد قاس إحياء الموتى على الرجل الذي قُتل في بني إسرائيل وضرب ببعض البقرة التي اختلفوا فيها فأحياه الله فقاس الله البعث على إحيائه.

٤- قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٢). فالإماء عليهن نصف الحدود التي على الحرائر فتجلد الزانية خمسين جلدة و يقاس العبد على الأمة.

#### ● القياس في السنة :

(عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها، قال: نعم، حُجِّي عنها أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) (٣). فقاس أداء فريضة الحج على الدين.

و عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ. يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي. وَيَصُومُونَ كَمَا نُصُومُ. وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: "أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رواه مسلم

(١) البقرة آية ٧٢ ، ٧٣ . (٢) النساء آية ٢٥ . (٣) رواه البخاري.

فقاس الرسول ﷺ وضع النطفة في الحلال بوضعها في الحرام بجامع المواخذة والإثابة في كل منهما.. فالقياس ورد في الكتاب والسنة.

● درء شبهة :  
قد يقول قائل : إن الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

قد يقول قائل: لو قلنا بالقياس لكان لابد أن يكون لإظهار حكم لم يكن معلوماً فكان القياس موجباً لكمال ما لم يكن كاملاً في زمنه ﷺ؟

والجواب على ذلك: أن المراد بأكمل الدين المذكور في الآية الشريفة هو تحقيق قواعد العقائد وأصول الأحكام وإيضاح قواعد الاجتهاد .

أمّا القياس فلا يقدح في الآية فلقد قاس الصحابة «نقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعامله أبي موسى الأشعري : ثم الفهم، ثم الفهم فيما أدلى به إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة ثم قاييس بين الأمور عند ذلك واعرف الأمثال ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق» (٢).

(ونقل عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: «يعرف الحق بالمقاييس عند ذوى الألباب»، ومما يؤكد مسألة القياس والعمل به لدى الصحابة - رضي الله عنهم - ما ورد من أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه ورث أم أم الأب، فقال له بعض الأنصار : لقد ورثت امرأة من ميت لو كانت هي الميتة لم يرثها، وتركتم امرأة لو كانت هي الميتة ورث جميع ما تركت فرجع إلى التشريك

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) مجموعة الردود الشاملة ص ١٠.

بينهما في الثلث. وورد أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يشك في قود القتل الذي اشترك في قتله سبعة، فقال له سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه: يا أمير المؤمنين أرايت لو أن نفرأ اشتركوا في سرقة أكنت تقطعهم، قال: نعم، قال فكذلك وهو قياس القتل على السرقة»<sup>(١)</sup>.

### وقفة تأمل

إذا كان الأمر كذلك فهل أبو حنيفة مبتدع كما قالوا؟ والجواب على ذلك أن أبا حنيفة لم يكن مبتدعاً، ومن الذين قالوا بذلك الأوزاعي ولما عرف غوص أبي حنيفة في الفقه، توقف عن ذلك. فعن «حمدون بن أبي الطوسي يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: قدمت الشام على الأوزاعي فرأيت به بيروت، فقال لي: يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟ فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جواد المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئت يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها قال: النعمان: فما زال قائماً بعد ما أذن حتى قرأ صدرأ من الكتاب ثم وضع الكتاب في كُمه ثم أقام وصلى. ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها. فقال لي يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟

قلت: شيخ لقيته بالعراق، فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب واستكثر

(١) المرجع السابق ص ١٠٠، ١١٠.

منه. قلت: هذا أبر حنيفة الذي فهمت عنه»<sup>(١)</sup>.  
«وحدثنا علي بن المديني قال: سمعت عبد الرزاق يقول: كنت عند معمر فأتاه ابن المبارك، فسمعنا معمرأ يقول: ما أعرف رجلاً يحسن يتكلم في الفقه أو يسعه أن يقيس ويشرح لمخلوق النجاة في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة. ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله شيئاً من الشك من أبي حنيفة»<sup>(٢)</sup>.

### ● عقل أبي حنيفة يثير قضايا ويناقشها:

«حدثنا إبراهيم بن سليمان المروزي - قدم علينا - قال قرئ على عبد الله بن علي القزاز عن أحمد بن إسحاق عن النضر بن محمد قال: دخل قتادة الكوفة ونزل في دار أبي بردة فخرج يوماً وقد اجتمع إليه خلق كثير: فقال قتادة: والله الذي لا إله إلا هو ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبتة. فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواماً فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول ما تقول في صداقها؟

و قال أبو حنيفة لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدثت بحديث ليكذبن، ولئن قال برأى نفسه ليخطئن.

فقال قتادة: ويحك أوقعت هذه المسألة؟

قال أبو حنيفة: لا، قال فلم تسألني عما لم يقع؟

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٩.

قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

قال قتادة: والله لا أحدثكم بشئ من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير. فقام إليه أبو حنيفة فقال له: يا أبا الخطاب ماتقول في قول الله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعي، كاتب سليمان بن داود، كان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة: هل يعرف الاسم سليمان؟ قال قتادة: لا.

قال أبو حنيفة: فيجوز أن يكون في زمن نبيٍّ مَنْ هو أعلم من النبي؟ فقال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء. فقام إليه أبو حنيفة فقال:

يا أبا الخطاب أمؤمن أنت؟ قال: أرجو. قال أبو حنيفة: ولم؟ قال: لقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ

لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>. فقال أبو حنيفة: فهلاً قلت كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ

بَلَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>، فهلاً قلت: بلى.

(١) سورة النمل آية ٤٠.

(٢) سورة الشعراء آية ٨٢.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٠.

فقام قتادة مغضباً، ودخل الدار وحلف أن لا يحدثهم<sup>(١)</sup>.

فمن وقع في أبي حنيفة فهو رجل لا يفقه في نصوص الإسلام شيئاً، ولا يفهم ما قاله أبو حنيفة ولا يعقل مسائله ولا يميز بين الغث والسمين. ومع هذا هو حاقد، وهذا الصنف كالجليد يذوب من الشمس فيتبدد.

#### ● تلاميذ الإمام أبي حنيفة:

أخذ العلم عن أبي حنيفة خلق كثير منهم: «إبراهيم بن طهمان عالم خراسان وأبيض بن الأغر المنقري، وأسياط بن محمد، وإسحاق الأزرق، وأسد بن عمرو البجلي، وإسماعيل بن يحيى الصيرفي، وأيوب بن هاني، والجارود بن يزيد النيسابوري، وجعفر بن عون، والحارث بن نبهان، وابنه حماد، وزُفَرُ بن الهذيل التميمي، وشعيب بن إسحاق، والصلت بن حجاج وعبد الله بن يزيد المقرئ وعبد الله بن المبارك، وعبيد الله بن الزبير القرشي، ومحمد بن الحسن الشيباني، ويزيد بن هارون، وأبو سعد الصاغاني، والقاضي أبو يوسف»<sup>(٢)</sup>، وهناك خلق كثير لم نذكرهم واقتصرنا على هؤلاء.

#### ● ميلاد بعض المسائل الفقهية على لسان أبي حنيفة:

كل هذه المسائل ولدت في ظروفها وانبثقت عن محاورة أو عن حدث أو عن موقف من المواقف ولها سميتها التي تميزها:

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٨ ، ٣٤٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤.

• مسألة القصار<sup>(١)</sup> وغيرها من نسج أبي حنيفة :-

من تلاميذ أبي حنيفة أبو يوسف فنهل من فقه شيخه أبي حنيفة فظن أن ما أخذه عنه جعله يجلس في مجلس كشيخه، فذهب التلميذ إلى سارية من سوارى المسجد وطلق يرسل علمه.

• رسالة أبي حنيفة لتنبية تلميذه :

أرسل إليه أبو حنيفة رجلاً فسأله عن خمس مسائل:

الأولى: أعطى رجل قصاراً ثوباً ليصلحه فجحده وأنكره وقال له: لم تعطني ثوباً ثم استيقظ ضميره وجاء بالثوب لصاحبه مقصوراً.

أيستحق القصار الأجر أم لا؟

«دعا أبو حنيفة رجلاً كان له عنده قدر فقال: سر إلى مجلس يعقوب فقل له: ماتقول في رجل دفع إلى القصار ثوباً ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار: مالك عندي شيء وأنكره ثم إن رب الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصوراً. أله أجره؟ فإن قيل: له أجره فقل أخطأت. وإن قال: لا أجره له فقل: أخطأت. فصار إليه فسأله فقال أبو يوسف: له الأجر. فقال: أخطأت. فنظر ساعة ثم قال: لا أجره له. فقال: أخطأت. فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار؟ قال: أجل. قال: سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإيجارات. فقال: يا أبا حنيفة علمني»<sup>(٢)</sup>.

(١) القصار: المبيض للثوب.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠.

• أبو حنيفة ينقذ أبا يوسف :

قال أبو حنيفة: «إن قصره بعد ما غصبه فلا أجره له لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجر لأنه قصره لصاحبه»<sup>(١)</sup>.  
أبو حنيفة يقول للدينار: «من ظن أنه يستغنى عن التعلم فليكن على نفسه»<sup>(٢)</sup>.

• مسائل أخرى لأبي يوسف :

المسألة الأولى:

هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة؟

قال رسول أبي حنيفة لأبي يوسف: «هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة»<sup>(٣)</sup> ؟

فقال أبو يوسف: بالفرض. فقال له رسول أبي حنيفة: أخطأت.

فقال أبو يوسف: بالسنة.

فقال رسول أبي حنيفة: أخطأت

فتحير أبو يوسف.

فقال رسول أبي حنيفة: بهما، لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة<sup>(٤)</sup>.

المسألة الثانية :

قال رسول أبي حنيفة لأبي يوسف: «طير سقط في قدر على النار فيه لحم

ومرق، هل يؤكلان - أى اللحم والمرق - أم لا ؟

(١) و (٢) المرجع السابق .

(٣) شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٤) المرجع السابق بتصريف.

فقال أبو يوسف : يؤكلان .

قال له رسول أبي حنيفة : أخطأت .

فقال أبو يوسف : لا يؤكلان .

قال له رسول أبي حنيفة : أخطأت .

ثم قال له رسول أبي حنيفة : إن كان اللحم مطبوخاً قبل سقوط الطير  
يُغسل ثلاثاً ويؤكل وتُرمى المرقعة وإلا يرمى الكل<sup>(١)</sup> .  
المسألة الثالثة :

قال رسول أبي حنيفة : مسلم له زوجة ذمّية ماتت وهي حامل منه تدفن  
في أي المقابر؟

فقال أبو يوسف : تدفن في مقابر المسلمين .

قال له رسول أبي حنيفة : أخطأت .

فقال أبو يوسف : في مقابر أهل الذمة .

قال له رسول أبي حنيفة : أخطأت . فتحير أبو يوسف .

فقال رسول أبي حنيفة : تدفن في مقابر اليهود لأنهم يُوجّهون قبورهم إلى  
القبلة . ولكن يُحوّل وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن  
الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه<sup>(٢)</sup> .

المسألة الرابعة :

قال رسول أبي حنيفة : أم ولد لرجل تزوجت بغير إذن مولاهما ، هل تجب

العدة من المولى؟

(١) و (٢) المرجع السابق بتصرف .

فقال أبو يوسف : تجب العدة .

قال له رسول أبي حنيفة : أخطأت .

فقال رسول أبي حنيفة : إن كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت<sup>(١)</sup> .

اعتراف أبي يوسف بجهله .

قال أبو يوسف بعد أن استمع إلى تلك المسائل من رسول أبي حنيفة  
وإجابتها :

«تَرَيْتِ قَبْلَ أَنْ تَحْصِرَ»<sup>(٢)</sup> ، وَالْحَصْرُ : ثَمَرُ الْعَنْبِ قَبْلَ النَضْجِ .

ومعنى قول أبي يوسف : أَى صرْتُ زَبِيئاً قَبْلَ أَنْ أَنْضَجَ وَأَتَعَلَّمَ .

مسألة أم عمران التي أهاجت الرأي العام

في مدرسة أبي حنيفة

«حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ زِيَادِ اللَّؤْلُؤِيُّ قَالَ :  
كَانَتْ هَا هُنَا امْرَأَةٌ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عِمْرَانَ مَجْنُونَةٌ وَكَانَتْ جَالِسَةً فِي الْكُنَاسَةِ فَمَرَّ  
بِهَا رَجُلٌ فَكَلِمَهَا بِشَيْءٍ فَقَالَتْ لَهُ : يَا ابْنَ الزَّانِيَيْنِ . وَابْنُ أَبِي لَيْلَى الْقَاضِي  
حَاضِرٌ يَسْمَعُ ذَلِكَ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : أَدْخُلْهَا الْمَسْجِدَ . وَأَقَامَ عَلَيْهَا حَدَّيْنِ حَدّاً لِأَبِيهِ  
وَحَدّاً لِأُمِّهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا حَنِيفَةَ فَقَالَ : أَخْطَأَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ :

الأول : أَقَامَ الْحَدَّ فِي الْمَسْجِدِ . وَلَا تَقَامُ الْحُدُودُ فِي الْمَسَاجِدِ .

الثاني : ضَرَبَهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ وَالنِّسَاءُ يُضْرَبْنَ قَعُوداً .

الثالث : ضَرَبَ لِأَبِيهِ حَدّاً وَلِأُمِّهِ حَدّاً وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا قَذَفَ جَمَاعَةً كَانَ

(١) المرجع السابق بتصرف .

(٢) المرجع السابق .

عليه حد واحد.

الرابع: جمع بين حدّين ولا يُجمع بين حدّين حتى يخف أحدهما.

الخامس: أقام الحدّ على مجنونة، والمجنونة ليس عليها حد.

السادس: أقام الحد لأبويه وهما غائبان لم يحضرا فيدعيان<sup>(١)</sup>.

ثارت الأمواج بنقد أبي حنيفة لابن أبي ليلى، فبلغته فدخل على الأمير فشكا إليه فحجر على أبي حنيفة، وقال: لا يفتي. فلم يُفت أياماً حتى قدم رسول من ولي العهد فأمر أن يعرض على أبي حنيفة مسائل حتى يُفتي فيها. فأبى أبو حنيفة وقال: أنا محجور على، فذهب الرسول إلى الأمير. فقال الأمير: قد أذنت له فقعد فأفتي<sup>(٢)</sup>.

#### • دفاع أبي حنيفة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان بالكوفة رجل يرمي عثمان بن عفان بأنه كان يهودياً فأتاه أبو حنيفة:

قال أبو حنيفة: أتيتك خاطباً.

قال الرجل: لمن؟

قال أبو حنيفة: لابنك. رجل شريف، غني بالمال، حافظ لكتاب الله، سخي، يقوم الليلة في ركعة، كثير البكاء من خوف الله.

قال الرجل: في دون هذا - أي في أقل من هذا - مقنع يا أبا حنيفة.

قال أبو حنيفة: إلا أن فيه خصلة.

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٥١ بتصريف.

(٢) انظر السابق.

قال الرجل: وما هي؟

قال أبو حنيفة: يهودى.

قال الرجل: سبحان الله تأمرني أن أزوّج ابنتي من يهودى؟

قال أبو حنيفة: لا تفعل؟

قال الرجل: لا.

قال أبو حنيفة: فالنبي زوج ابنتيه من يهودى - يريد عثمان بن عفان -.

قال الرجل: أستغفر الله العظيم إني تائب إلى الله ﷻ<sup>(١)</sup>.

#### • مسألة الاستثناء في اليمين

دعا الخليفة المنصور أبا حنيفة لزيارته فذهب إليه وجلس معه ووقف الربيع على المجلس وهو حاجب المنصور وهو رجل يحمل في قلبه العداوة لأبي حنيفة.

قال الربيع: يا أمير المؤمنين: هذا أبو حنيفة يخالف جدك. كان عبد الله ابن عباس يقول: إذا حلف على يمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء. وقال أبو حنيفة لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين.

فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جنودك بيعة.

قال المنصور: وكيف؟

قال أبو حنيفة: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم.

(١) انظر: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٦٤.

فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة.  
فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي يا أبا حنيفة؟  
قال أبو حنيفة: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلّصت  
نفسى<sup>(١)</sup>.

#### • أبو حنيفة يتخلص من قيد عدوه ويربطه به:

كان أبو العباس الطوسي سىء الرأى فى أبي حنيفة ويكنُّ له عداوة  
شديدة وكان أبو حنيفة يعرف ذلك عنه. فدخل أبو حنيفة يوماً على أبي جعفر  
المنصور أمير المؤمنين وكثر الناس وكان بينهم أبو العباس الطوسي.

فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة. فأقبل على أبي حنيفة والناس  
يستمعون إلى كلامه وهم بحضرة أمير المؤمنين،

فقال: يا أبا حنيفة: إن أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمر بضرب عنقه  
لا يدري ما هو أيسره أن يضرب عنقه؟

فقال أبو حنيفة: يا أبا العباس: أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟

قال أبو العباس: يأمر بالحق.

قال أبو حنيفة: أنفذ الحق حيث كان ولا تسل عنه.

ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته<sup>(٢)</sup>.

#### • أبو حنيفة ينقذ نفسه ومدرسته من القتل

جلس الإمام على مجلسه وتلاميذه حوله يجود الشيخ بالدرر ويتخطفها

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: المرجع السابق.

التلاميذ، كل واحد يحاول أن يملأ عقله بتلك الدرر، شغل الأستاذ بصناعة  
تلك الدرر فيطلقها مزينة بالحجة والإقناع وشغل تلاميذ المدرسة بقبولها  
وتحليلها فتقطعت علائقهم بالدنيا وبأهلها وفي خضم هذا الانخراط في العلم  
يدخل عليهم طائفة من الخوارج<sup>(١)</sup>، شاهرين السيوف، فقالوا: يا أبا حنيفة  
نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك.

قال أبو حنيفة: أغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشغل قلبي.

قالوا: وكيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك؟

قال أبو حنيفة: سلوا إذن.

قالوا: جنازتان بالباب إحداهما رجل شرب الخمر حتى ثل فمات

سكران. والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة أهما

مؤمنان أم كافران؟

قال أبو حنيفة: من أي فرقة كانا؟ من اليهود؟

قالوا: لا.

قال أبو حنيفة: من النصارى؟

قالوا: لا.

قال: من المجوس؟

قالوا: لا.

قال أبو حنيفة: ممن كانا؟

قالوا: من المسلمين.

(١) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٢) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٣) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٤) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٥) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٦) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

(٧) الخوارج: من خرجوا عن الجماعة.

قال أبو حنيفة: قد أجبتكم. قالوا: هما في الجنة أم في النار؟ قال أبو حنيفة: أقول فيهما ما قاله خير مني فيمن هو شر منهما، قال الخليل عليه السلام في قومه المشركين: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِلَيْكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» <sup>(١)</sup>. وقال عيسى عليه السلام: «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» <sup>(٢)</sup>. فنكسوا رؤوسهم وانصرفوا <sup>(٣)</sup>.

#### • عصفه أخرى بالمدرسة يصدها أبو حنيفة

الخوارج يكفرون أهل السنة في كثير من أمور الدين وليس لهم أدلة في ذلك بل لهم شبه لا تصل إلى الدليل فدخلوا يوماً المسجد ووصلوا إلى مقر المدرسة داخل المسجد، وهموا بقتل إمام المدرسة وتلاميذها فتملك الفرع التلاميذ فقال أبو حنيفة: لا تبرحوا فجاء الخوارج حتى وقفوا عليهم. فقال الخوارج: ما أنتم؟

قال أبو حنيفة: نحن مستجيرون.

فقال أمير الخوارج: دعوهم وأبلغوهم مآمنهم واقروا عليهم القرآن فقرأوا عليهم القرآن وأبلغوهم مآمنهم <sup>(٤)</sup>.

وبهذا يكون أبو حنيفة قد عصم دمه ودم تلاميذه فإنهم في نظر الخوارج كفرة، والله قال: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٢) سورة المائدة آية ١١٨.

(٣) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٩٣ بتصرف.

(٤) راجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٦٦.

اللَّهِ ثُمَّ أبلغه مآمنه» <sup>(١)</sup>. قالها أبو حنيفة مستجيرون ولم يقل مشركون مستجيرون، كما قالها واصل بن عطاء لهم.

#### • سفيان الثوري يأخذ بفتوى أبي حنيفة:

كان سفيان الثوري يفتي بجواز الوضوء بما قد توضأ به الغير فلما سمع أن أبا حنيفة لا يجيز ذلك قال سفيان لم؟ قالوا له: إن أبا حنيفة يقول: إنه ماء مستعمل فجاء بعد ذلك بأيام رجل فسأله عن الوضوء بماء قد استعمله غيره، فقال سفيان: لا يتوضأ به لأنه ماء مستعمل فرجع فيه إلى قول أبي حنيفة <sup>(٢)</sup>.

#### • دقة أبي حنيفة في الفتوى وتوخي الورع:

كان الإمام أبو حنيفة يرشد تلاميذه ويقول لهم: «من وصف خُفَّ امرأة صغيرة أو كبيرة فقد وصف قدمها ومن وصف قدمها لم يكن عدلاً. وإذا قامت المرأة من موضعها فلا تجلس فيه حتى يبرد» <sup>(٣)</sup>.

#### • أبو حنيفة يفهم القاضي «ابن شبرمة»:

مات رجل وأوصى قبل موته إلى أبي حنيفة وكان أبو حنيفة غائباً، فقدم أبو حنيفة وارتفع إلى ابن شبرمة وأتى أبو حنيفة بالبينة وهي شاهدان شهدا على صحة وصية الرجل لأبي حنيفة.

فقال ابن شبرمة: يا أبا حنيفة: احلف أن شهودك شهدوا بحق.

قال أبو حنيفة: ليس على يمين، فلقد كنت غائباً.

قال ابن شبرمة: ضلّت مقاليدك يا أبا حنيفة.

(١) سورة التوبة آية ٦.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٦.

(٣) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٦٤.

وقد سبقت الإشارة إلى سر هذا النهي من الإمام أبي حنيفة .. وذلك في مقدمة كتابنا هذا ص ٤.

قال أبو حنيفة: ضلّت مقاليدى؟  
ما تقول يا ابن شبرمة في أعمى شج - جرح - فشهد له شاهدان أن  
فلاناً شجّه، هل على الأعمى يمين؟  
إن شهوده شهدوا بالحق ولا يرى<sup>(١)</sup>.  
وكان من طبيعة أبي حنيفة أنه كان يكره الحلف، فعن أحمد بن المغلس  
الحماني أنه قال: «حدثنا مريح بن وكيع حدثنا أبي، قال: كان أبو حنيفة قد  
جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في غرض كلامه وإلا تصدق بدهم فحلف  
فتصدق به ثم جعل على نفسه إن حلف أن يتصدق بدينار، فكان إذا حلف  
صادقاً في غرض كلامه تصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق  
بمثلها وكان إذا اكتسى ثوباً جديداً كسى بقدر ثمنه الشيوخ والعلماء، وكان  
إذا وُضع بين يديه الطعام أخذ منه فوضعه على الخبز حتى يأخذ منه بقدر  
ضعف ما كان يأكل فيضعه على الخبز ثم يعطيه إنساناً فقيراً. فإن كان في  
الدار من عياله إنسان يحتاج إليه دفعه إليه وإلا أعطاه مسكيناً<sup>(٢)</sup>.

#### • من مداعبات أبي حنيفة الفقهية:

روى أن رجلاً أتى أبا حنيفة بالليل فقال أدركني قبل الفجر وإلا طلقت  
امرأتى، قال أبو حنيفة وما ذاك؟ قال: تركت زوجتي الليلة كلامي فقلت لها  
إن طلع الفجر ولم تكلميني فأنت طالق ثلاث. وقد توسلتُ إليها بكل أمر أن  
تكلمني فلم تفعل. قال أبو حنيفة: اذهب فمُرْ مؤذن المسجد أن يترل فيؤذن

قبل الفجر فلعلها إذا سمعته أن تكلمك واذهب إليها وناشدها أن تكلمك قبل  
أن يؤذن المؤذن. ففعل الرجل وجلس يناشدها وأذن المؤذن، فقالت: طلع  
الفجر وقد تخلصت منك. قال: قد كلمتني قبل الفجر وتخلص من اليمين<sup>(١)</sup>.

#### • أبو يوسف وعاء لعلم أبي حنيفة:

رأى الإمام أبو حنيفة أن التلاميذ امتداد لأساتذتهم، وأنهم مدرسة  
لامتداد مدرسة أستاذهم، فكان يهتم بتلاميذه جميعاً بيد أنه كان من بين  
تلاميذه تلميذ نجيب هو أبو يوسف لمح فيه أبو حنيفة شيئاً لم يره في غيره فاهتم  
به ولما أراد هذا التلميذ الانشغال بالحياة وبالعيش وانصرف عن مجلس أبي  
حنيفة تتبعه وردّه وكفاه جهد العيش وترك الحديث ليتحدث عن نفسه مع  
أبي حنيفة ~~عن أبي حنيفة~~ «كنت أطلب الحديث والفقه وأنا رث الحال فجاءني أبي يوماً  
وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمدد رجلك مع أبي حنيفة فإن  
أبا حنيفة خبزه مستو، وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عنه كثيراً في الطلب  
وآثرت طاعة أبي، فتفقدي أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما  
كان أول يوم أتيته بعد تأخري قال: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش  
وطاعة والدي. فجلست ولما انصرف الناس دفع إلى صرة، وقال: استمتع بها،  
فإذا فيها مائة درهم. وقال لي: الزم الحلقة فإذا فرغت هذه فأعلمني، فلزمت  
الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلى مائة أخرى ثم كان يتعهدني وما أعلمته  
بخلّة قط ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بها حتى استغنيت وقولت: «  
ويقول أبو يوسف: «وكان يعولني وعيالي عشرين سنة وإذا قلت له ما رأيتُ

(١) راجع: أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١٠٧.

(١) انظر: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٨٤.

(٢) راجع: المرجع السابق ص ٣٥٨.

أجود يقول: كيف لو رأيت حمّاداً - شيخ أبي حنيفة - وما رأيت أجمع للخصال المحموده منه <sup>(١)</sup> « <sup>(٢)</sup>. وكم من التلاميذ لم يعلنوا أياديهم عليهم والقليل قد أعلنها كأبي يوسف وأعلنها الحسن بن زياد إذ كان يلزم أبا حنيفة وأبوه يرهقه بقوله: يا بُنى لنا بنات وليس لنا ابن غيرك فاشتغل بهن. وكان أبو حنيفة يُدرّ عليه أخلاف الرزق حتى تعلّم. وأعلنها يوسف بن خالد السَّمُتي، واجتمعت كلمة الرواة على أنه كان يصبر على من يعلمه، وإن كان فقيراً أغناه، وأنزل عليه وعلى عياله صيباً من العطاء حتى يتعلم فإذا تعلم قال له: قد وصلت إلى الغنى الأكبر بمعرفة الحلال والحرام. وأجمعوا أنه كان معروفاً بالإفضال عليهم <sup>(٣)</sup>.

#### • علم أبي حنيفة يجرى سلسلاً على لسان أبي يوسف:

كان أبو يوسف في السابعة والثلاثين من عمره عندما رحل أبو حنيفة عن دنيا الناس وآلت رياسة الحلقة إلى زفر ولم يغضب أبو يوسف فلقد كان زفر عابداً ورعاً، بيد أن أبا يوسف تولّى القضاء للخلفاء الثلاثة: المهدي والهادي والرشيد. وبلغ مجده غايته في عصر الرشيد إذ نقلت له وظيفة قاضي القضاة، فكان هو الذي يوصي الخليفة بتعيين القضاة في شتى الدولة وكان يؤاكله ويحج معه ويؤمّه ويعلمه ويدخل عليه ركباً وكانت تتقدم به مترلته كلما تقدّم به العمر. ولقد كان العلم سبباً في غناه فلقد بلغت تركته مليونين

(١) الضمير يعود على أبي حنيفة.

(٢) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤.

وصلى عليه الرشيد وأمر بدفنه في مقابر قریش حيث دفن من بعده ولده الأمين ثم زوجته زبيدة أم الأمين.

#### • أبو يوسف يجعل فقه أبي حنيفة مذهب الدولة:

كان أبو يوسف صغير الجسد نحيفاً يكاد يغرق في فراشه بيد أنه كله عقل سمعه سامع ورأى جسده فقال: «لو شاء الله أن يجعل العلم في جوف طير لفعل، لكنه كان يحفظ خمسين أو ستين حديثاً في السماع الواحد ثم يقولها فيمليها على الناس» <sup>(١)</sup>.

لقد أُتيح لفقه الإمام أبي حنيفة على يد أبي يوسف أن يكون هو مذهب الدولة فسَادَ هذا المذهب في القضاء والافتاء وجلس أتباع أبي حنيفة على كراسي القضاء وطقق الناس يسمون مذهب أبي حنيفة بمذهب السلطان لانتشاره فكما قال ابن حزم: «مذهبان انتشرا في بداية أمرهما بالرياسة والسلطان: الحنفي بالعراق والمالكي بالأندلس» <sup>(٢)</sup>. أضاف أبو يوسف للفقه الحنفي بُعْداً جديداً هو البعد العملي الذي يتجاوب مع تطور الحياة ولا سيما وقد قطعت الدولة أكبر أشواطها في الحضارة وبسط أبو يوسف سلطانه في كل مكان وعيّن ابنه يوسف قاضياً على غرب بغداد وجعله إماماً للحجيج وعندما حج الرشيد وفي صحبته أبو يوسف كان الإمام هو يوسف بن أبي يوسف وكان شريك خصم أبي حنيفة يحج في نفس السنة وسأل عمن يصلى بالناس فقالوا: يوسف بن أبي يوسف قال: الآن طاب الموت» <sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣١.

و لقد برز سلطان أبي يوسف على سلطان الرشيد ولا غرو فسلطان العلم في أمة تعرف قدر العلم هو الذي يعلو على كل شيء. فإذا حزبت الأمور فزرع الناس إلى أبي يوسف.

#### • أبو يوسف ينقذ قصر هارون الرشيد:

«حلف الرشيد يمينا بالطلاق ألا تبيت زبيدة ليلتها في بلد يدخل في ولايته وذلك حين غاضبته فلما سكنت عنه الغضب فعل الهوى أفاعيله في نفسه والتاريخ يذكر مبلغ ما شغفته حباً وشغفها فأظلمت الدنيا في عينيه والظلام في عين الرشيد هو العمى في أعين البلاط فاشتد الخطب وفدح الأمر وكلما مالت الشمس في الأفق استعداداً للغروب ودنت حمرة الشفق سرت في أهباء القصر رعدة الفرق. وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ودارت أعين الحاشية كالذي يغشى عليه من الموت وتصايحوا ألا أين نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب. إن فقيه البلاط بين رجال البلاط يا أبا يوسف أفتنا في أمير المؤمنين وزوجه.

فيقوم أبو يوسف ليخرج من عبقريته ثمرة من ثمار فقه أبي حنيفة فيسوق بعض الخوارق التي تأخذ بالألباب.

صاح أبو يوسف: فَلْتَبِتْ زوج أمير المؤمنين بالمسجد فإنه لا ولاية لك يا أمير المؤمنين على المسجد. فالله يقول: «وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا» (١) «(٢)

(١) سورة الجن آية ١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق.

#### • ثمرة ثانية من ثمار فقه أبي حنيفة يخرجها أبو يوسف:

لما حج هارون الرشيد وخرج معه أبو يوسف أشار على الرشيد أن يتقدم لإمامة المسلمين، فصلى الرشيد ركعتين وسلم ونادى أبو يوسف: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإن أمير المؤمنين مسافر ونحن قوم سفر. فرد عليه رجل من أهل مكة منادياً وكان يصلي معهم يا أبا يوسف نحن أعلم بذلك منك وممن علمك. فأجاب أبو يوسف لو كنت أعلم لما تكلمت في صلاتك، وكانت هذه وحدها كافية لتبته الرجل ولكنه استمر يقول: نحن مهبط الوحي وجبلنا جبل الرحمة ومثل الحكم والعلوم والبركات من السماء. فرد أبو يوسف عليه:

ولكن ما استقرت على جبلكم بل سالت إلينا في الشعاب والأودية فاستقرت عندنا كذلك فعل المطر. وسيطر صاحب الخليفة على الموقف في حضرة الرشيد. أفلم يكن الرشيد على حق إذ يقول هاتوا إلى مثله (١).

#### • ثمرة ثالثة من ثمار فقه أبي حنيفة يخرجها أبو يوسف:

خوصم إلى أبي يوسف أمير المؤمنين الهادي في بستان وكان ظاهر الأمر أن البستان له لكن الحق لخصمه، قال الهادي لأبي يوسف ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟

قال أبو يوسف: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده على حق، قال الهادي: وترى ذلك؟ قال أبو يوسف: كان ابن أبي ليلى يراه. قال: الخليفة: أرد البستان عليه، لكن أبا يوسف يحتال على أمير المؤمنين

(١) المرجع السابق ص ١٣١، ١٣٢.

ليردَّ الأميرُ البستانَ إلى خصمه لأن أبا يوسف عنده قناعة بأن البستان لخصم الأمير<sup>(١)</sup>.

#### • ثمرة رابعة لفقهِ أبي حنيفة على لسان أبي يوسف :

شهد الفضل بن الربيع وزير الخليفة عنده يوماً فردَّ شهادته أبو يوسف فعاتبه الخليفة قائلاً لمَ رددتَ شهادته؟

قال أبو يوسف: سمعته يقول لك: أنا عبدك، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد. وإن كان كاذباً لا تقبل شهادته كذلك.

فمن هذه الأمة قوم يتصدّون للحكام بحق ويقولون الحق: منهم أبو يوسف الذي رأى أن يحلف أمير المؤمنين وأن يرُدَّ شهادة وزير فلم يعبأ بحكام اعتاد الناس أن لا يُوجَّهوا لهم خصومات ويُنَّ أبو يوسف أن الحكام ليسوا بمعزل عن توجيه اللوم إليهم أو إظهار أخطائهم.

#### • ثراء يلج إلى أبي يوسف من باب الفقه :

كُتِبَتْ أم جعفر إلى أبي يوسف تقول ما ترى في كذا وأحبُّ الأشياء إلى أن يكون الحق فيه كذا وكذا، فأفتاها أبو يوسف بما صادف هواها، فبعثت إليه بحق فيه فضة فيه حقائق مطبقات في كل واحدة منها لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنائير فقال له جلساؤه، قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَهْدَيْتَ لَهُ هَدِيَّةً فَجَلَسَاؤُهُ شَرُّكَاهُ فِيهَا» قال أبو يوسف: ذاك حين كانت هدايا الناس التمر واللبن، ولو جاءت الهدايا إلى أبي حنيفة لتحرَّج عن قبولها أو لكافأ المهدى بأضعافها.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٣٣.

#### • وعاء فقه أبي حنيفة يرحل عن الدنيا إلى الآخرة :

في سنة ثلاث وثمانين بعد المائة مرض أبو يوسف مرض الموت وسمعه السامع يوم مات وهو يقول: «اللهم إنك تعلم أني لم أجُرْ في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تَعَمُّداً وقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ وكُلُّما أشكل عليَّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه».

#### • وصية أبي يوسف :

عرف الناس وصية أبي يوسف تصدَّق : بمائة ألف لأهل مكة، ومائة ألف لأهل المدينة، ومائة ألف لأهل بغداد ومائة ألف للبلد الذي جعل صبي القصار «أبا يوسف» أستاذاً للرشييد ويهب مئات الآلاف وهذا البلد وهو الكوفة.

وكان قبل ذلك قد سأل الرشييد أبا يوسف عن شيخه أبي حنيفة فصوره في إحدى جوامع الكلم، قال: قال الله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ كان علمي به أنه شديد الذب عن المحارم شديد الورع أن ينطق في دين الله تعالى بلا علم، يحب أن يطاع الله تعالى، ولا ينافس أهل الدنيا فيما بين أيديهم، طويل الصمت، دائم الفكر، مع علم واسع، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً، إن سئل عن مسألة كان له علم بما أجاب وإلا قاس مستغنياً عن الناس لا يميل إلى طمع ولا يذكر الناس إلا بخير. قال الرشييد: هذه أخلاق الصالحين<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ١٩ : ٢٠.

## الإمام أبو حنيفة في بيته

عاش أبو حنيفة في أسرته وكانت التجارة تُدرُّ عليه ربحاً كثيراً فكان ثراؤه عريضاً ومع الثراء سخاء يفوق الشراء. واستخدم المال في الطاعة فجعله من أزودته إلى الدار الآخرة، وصورُ السخاء كثيرة في حياة الإمام أبي حنيفة منها:

«لما ختم ابنه حماد سورة الفاتحة احتفل به أعظم احتفال فأعطى المعلم خمسمائة درهم أو ألف درهم واستكثر المعلم هذا السخاء إذ لم يُعلِّمه من الكتاب إلا فاتحة الكتاب فقال له: لا تستحقر ما علّمت ولدي لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن.

ومنها: أنه حبس إبراهيم بن عيينة أخو سفيان بن عيينة الفقيه على أكثر من أربعة آلاف درهم فهم أصحابه بأن يجمعوا له اكتباً فلما صاروا إلى أبي حنيفة أمر برد ما أخذوه من الناس وقضى عن المدين دينه.

ومنها: أنه جاءه رجل فقال إن عليّ لفلان مائة درهم وأنا ذو عسرة فسله يصبر عني ويؤخرني بها فكلّم أبو حنيفة صاحب المال فقال صاحب المال: هي له أبرأته منها، قال الذي عليه الدين: لا حاجة لي فيها؛ قال الإمام أبو حنيفة: ليست الحاجة لك وإنما الحاجة لي قضيت.

ومنها: أنه أصابت رجلاً من الأغنياء فادحة أثقلته وأفقرته فجعل يتجلد حتى عضه الجوع ومسه الضر وشكت له امرأته جوعها وجوع صغيرها أن أجذب الفناء وصفر الإناء أي افتقر وخرج على عزم السؤال وقصد إلى مجلس أبي حنيفة حيث جلس ملياً تقيمه الحاجة ويقعده الحياء ثم انفض المجلس عن أهله وتفرقوا وخرج الرجل دون أن يبدى من أمره ما أخفى وعاد إلى داره،

وكان أبو حنيفة قد قرأ في وجهه أشياء تجرى دلالتها بين قسماته فاتبعه حتى دخل الرجل داره. ولما جن الليل جعل أبو حنيفة في كفه خمسة آلاف درهم ودق الباب وقال: أيها الرجل وضعت عند بابك شيئاً هو لك: ورجع مسرعاً لئلا يرى ذلّ الأخذ في وجهه. وأخذ الرجل الصرة وهو يأبى أن يحل عقدتها خشية أن تكون صدقة ذمّي. فلقد كان الذميون يتألقون قلوب الناس في تلك الأيام بالأعطيات، ولكن زوجته أهابت به «حلّ عقدتها لعل الله أن يحل عقدتنا» فلما حلّها قرأ كلمة أبي حنيفة: هذا المقدار جاء به أبو حنيفة إليك من وجهه حلال فليفرغ بالك<sup>(١)</sup>.

## • الهدية عند الإمام أبي حنيفة:

كان أبو حنيفة يقابل الهدية بمثلها أهدي إليه منديل قيمته ثلاثة دراهم فعوّض المهدى قطعة خبز قيمتها خمسون درهماً.

وأهدى إليه يوماً ألف نعل ففرّقها على إخوانه ورئى بعد ذلك بيومين يشتري لولده نعلاناً فلما سئل في ذلك قال: إن مذهبي في الهدايا تقويمها بالغة ما بلغت والمكافأة بمثلها أو مثل ضعفها وتفريق الهدية لإخواني لما قد روى عن النبي ﷺ: أنه قال: «إذا أهدى إلى الرجل فجلساؤه شركاؤه وإخواني جلسائي فلا أحب أن أنفرد دوغم بل أرى أن أجعل نصيبهم وأرى قبول الهدية كما قال تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ولما روى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقبل الهدية ويجيب الدعوة وأرى المكافأة بأحسن منها لقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، ولقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْسُوا

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٢٣ ، ٢٤ .

و لقد أهدى إليه مرة فكافأ المهدى بأضعاف ما أهدى إليه فقال له الرجل: لو علمت أنك تفعل ذلك ما أهديت إليك قال أبو حنيفة: لا تقل هذا فإن الفضل للسابق. ألم تسمع إلى ما حدثني به الهيثم عن أبي صالح يبلغ به النبي ﷺ قال: من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فأتوا عليه (١).

لقد كان ثراء أبي حنيفة عريضاً وكان كرمه عجيباً وهذا الجود بسبب إدباره عن الدنيا فجرد قلبه عن المادة فأخرج ما له للمعوزين لا يخاف عيلة ولا يستبقى لداره ولا لأهله إلا قدر نفقتهم والباقي كله طعام للفقراء والبائسين والسائلين وفي شأن ذلك يقول أبو حنيفة «ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة إلا أخرجته وإنما أمسكها لقول علي رضي الله عنه: أربعة آلاف فما دونها نفقة: ولولا أني أخاف أن ألجأ إلى هؤلاء ما تركت منها درهماً واحداً» (٢).

ومعنى هذا أن أبا حنيفة كان إذا جمع المال تسابقت كفاؤه في تفريقه على تلميذ يسد حاجته أو على امرأة ذات خصاصة أو على مدين يفك أسره. وخلاصة القول أن أبا حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسب ثوباً جديداً كسى أحد العلماء والشيوخ مثله.

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٥.

### • برُّ أبي حنيفة بأمه:

كان أبو حنيفة باراً بأمه يُبجِّلها ويدللها وكانت كبعض الأمهات وبعض العشيرة تكاد تعيش عيناها في سنا نجمها الذي يزيل ظلمات الدنيا بفقهه فنراها لا تطمئن بالفتيا إلا إذا جاءها من غير الإمام أبي حنيفة «حلفت يميناً واستفتته فأفتاها فلم ترض عما أفتى به أفتاها وأبت إلا أن يفتيها زُرعة القاص - الواعظ - فلم يضق ذرعاً وحملها إلى دار زُرعة وهناك قال لها أبو زُرعة: أفتيك ومعك فقيه الكوفة ولو انكشف أمامه لوح المستقبل لقال فقيه الدنيا. وأسرَّ أبو حنيفة لزُرعة أفتها بكذا فأفتاها.

### ومن برِّه بها:

أنه كان يحملها إلى دار عمر بن دَرَّ على ما كان بين الدارين من بُعد الشقة ثلاثة أميال ليصلها التراويح خلفه وليستمعاً إلى وعظ هذا الرجل الزاهد وليدعوا الله بهذا الدعاء: أتعذبنا يا رب في جوفنا التوحيد، لا أراك تفعل. حب متبادل.

لقد أحب الإمام أبو حنيفة أمه حباً جماً وأحبته والدته حباً فطرياً، فيؤلمه ويفزعها ما يفزعها وتبادلته الشعور وأكثر. فحين ابتلى بالضرب على القضاء وأوجعته السياط وهو في قمة المجد أسرَّ إلى جاره قائلاً: «والله ما أوجعني السياط قدر ما آلمني دموع أمي، وقالت له: ما خير في علم يضيعك هذا الضياع، قال: يا أماه إنهم يريدونني على الدنيا وإنني أريد الآخرة، وإنني أختار عذابهم على عذاب الله» (١).

(١) المرجع السابق ص ٢٧ ، ٢٨.

## الإمام التاجر

رمى أبو حنيفة ببصره فكان بعيد النظر فسعى إلى أن يخلص نفسه من السلسلة التي تربط الفكر بلقمة العيش ونجح في ذلك واطمأن على نفسه ومستقبل أولاده ووقف أمام الأمير في فتنه ولم ينقطع عيشه ولا عيش أبنائه لأنه ذو مال فهو في غنى عن الحكام وعن تحكمهم في لقمة عيش العلماء لقد راح أبو حنيفة يبيع الخبز وهو الحرير الخالص أو المخلوط بالصوف ولقد سبقه إلى هذا نبي الله إدريس فهو أول من خاط الثياب وكان الصديق بائعاً للثياب، أدرك أبو حنيفة أنه كلما بعد الفقيه عن الحاجة قربت الفتوى من الله وكلما أغناه الخالق عن الخلق أدناه إلى الحق وأدرك ذلك الإمام الشافعي فقال: «لا تشاور من ليس في بيته دقيق فهو مؤلّه العقل»<sup>(١)</sup>.

لقد عرف أبو حنيفة ذلك فلم يربط نفسه بالبأساء والضراء بأمراس<sup>(٢)</sup> كتان من الرهينة المضّعة في حياة يجب أن يعمل فيها المرء لدنياه كأنه يعيش أبداً ليبنى الفرد حضارة أمة إسلامية تنشر دين الله وقوانينه التي تسعد البشرية وتحميها من الهلاك والضياع ويكون شعارها «لا إله إلا الله محمد رسول الله». بدأ أبو حنيفة حياته التجارية بطابعه العلمي فدخل السوق في حصن فقهي عصمه من الضلال والانحراف فدخله مدخلاً كريماً.

## • حانوت أبي حنيفة:

اختار الإمام أبو حنيفة في سوق الكوفة مكاناً من أبرز أمكنة الكوفة

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٤١.

(٢) المراد بها أربطة.

وهذا يدل على فكر أبي حنيفة التجاري وهذا المكان هو دار عمرو بن حريث الصحابي فهذا المكان معروف لكل المسلمين فهو مكان وقعت فيه معارك عرفها المسلمون منها معركة بين أهل الكوفة والحجاج ومعارك أخرى فهي بحق كانت من أبرز معالم الكوفة ففيها يُستقبل الفاتحون وتدور أرحاء المعارك وفيها سوق الحرير.

لقد كان يدير حركة الدكان تلاميذ أبي حنيفة وأوعية فقهاء فيدار الدكان بالفقه الحنفي «فتتصور النساء إذا أقبلن أو أدبرن بائعات أو مشتريات يغضضن من أبصارهن ولا يبدين زينتهن يدلفن إلى الدكان كأنما يقدن إلى الدرس ويفصلن عن دار ابن حريث كأنهن يفصلن عن المسجد الجامع وكأنما كنّ من الدكان في المحراب. كان صاحب هذا الدكان يقول: من وصف خُفّ امرأة صغيرة أو كبيرة فقد وصف قدمها ومن وصف قدمها لم يكن عدلاً: ويقول: إذا قامت المرأة من موضعها فلا تجلس فيه حتى يبرد»<sup>(١)</sup>. ولا غرو فهذا الأستاذ كان إذا مشى في الطريق لا يعرف الرجل من المرأة. لقد غلبت على الحانوت آداب التجارة بيد أن الحانوت ليس محلاً للمدارسة وإن تولى التلاميذ البيع فيه بين الحين والحين أمّا العلم فميدانه المسجد لا في السوق والطريق في ذلك الحانوت يجلس سيده يتقبل الناس بقبول حسن وضياء المحيا منبسط الطبع ينصف الناس من قبل أن ينصف نفسه من الناس لا يتحيف ولا يستكبر ولا يستنكف. يقصده فظ القلب فيألفه.

كان قانون الحانوت الصدق في المعاملة والثفرة من الماكسة والظلم،

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٤٤.

العاملون في الحانوت لا يهتبلون غفلة الزمان أو غفلة الإنسان فلا يكتسبون إلا حلالاً ولا يغررون ولا يغرقون أحداً ولقد وقعت أحداث في الحانوت تنبئ عن صدق المعاملة والبعد عن المماكسة : منها :  
١ - « جاءت عجوز إلى دكان أبي حنيفة تطلب ثوباً وتوسلت إليه بسئها أن يرفق بها في الثمن :

قال أبو حنيفة : دونك هذا الثوب يا أمه .  
قالت العجوز : بكم ؟  
قال أبو حنيفة : بأربعة دراهم .  
قالت العجوز : لا تسخر مني وأنا عجوز لا حيلة لي .  
قال أبو حنيفة : إنه لكذلك ، لقد اشتريت ثوبين فبعت أحدهما بالثمن كله إلا أربعة دراهم ، وهذه الدراهم الباقية هي ما أطلبه منك ثمناً للثوب الباقي <sup>(١)</sup> .

٢ - طلب رجل ثوب خزر فقال لابنه حماد :  
يا حماد ، أخرج ثوباً ، فأخرج حماد ثوباً ونشره قائلاً : صلى الله على محمد ، كما يقول التجار : اللهم صل على النبي ، قال له أبوه : مه . قد مدحتك ، ورفض الإمام أن يبيع الثوب للرجل ، وجال الرجل في السوق يبحث عن ثوب آخر ولم يوفق فعاد إلى دار ابن حريث أشد ما يكون حاجة إلى الثوب وأظهر ما يكون استعداداً لدفع الثمن ولكن الشيخ في غير مخاشنة ولا مشاقة بل في سماح وإسجاح <sup>(٢)</sup> ورفض أن يبيع الثوب .

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٦١ بتصريف .  
(٢) السهولة ورفق .

و في حانوت الفقيه الذي تعرفه الجزيرة العربية وأرض الشام بضاعة لا تعرضها الحوانيت الأخرى في سوق الخزازين فكم من رجل جاء من أنحاء الجزيرة العربية ليشتري لابنته جهازاً فينبه الناس على الجهاز في دكان الفقيه الخزاز فالثمن العدل في هذا الدكان ، وإذا خدع تلميذ من تلاميذ الشيخ مشترياً فقبض منه ألف درهم وباهى التلميذ بين يدي أستاذه بما صنع رد الأستاذ ما زاد على الثمن بعد إذ حاول استرداد الثوب ورد الألف بتمامها <sup>(١)</sup> .

٣ - بعث الإمام أبو حنيفة بمتاع إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة وأعلمه أن في ثوب منه عيباً فينبه للناس فباع حفص المتاع ونسى أن يبين عيبه كما أخبر شريكه الإمام . واستوفى الثمن من المشتري كاملاً ، لثوب غير كامل ، وقيل إن الثمن كان ثلاثين ألفاً أو خمسة وثلاثين ألفاً ، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبحث عن المشتري ولكنه لم يهتد إلى الرجل فأبى أبو حنيفة إلا فصلاً عن شريكه وتاركاً ، بل رفض أن يضيف الثمن إلى ماله وتصدق به كاملاً <sup>(٢)</sup> .

٤ - وجاء رجل بثوب يبيعه قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال : إنه يستحق أكثر من هذا ولم يزل يزيده حتى اشتراه بثمانية آلاف .

٥ - جاءته امرأة بثوب خزر يبيعه بمائة فقال لها هو خير من مائة بكم تقولين ، فزادت مائة مائة حتى قالت : أربعمائة ، قال : هو خير من ذلك ، قالت : هزأ بي ؟ قال : هاتني رجلاً ، فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم .

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ ، ٤٩ بتصريف .

٦- قال عبد الله بن المبارك : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، قال : ما سمعته يغتاب عدواً له، قال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

و لقد قال لأبي حنيفة قائل : يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد . قال : هو فضل الله يؤتيه من يشاء<sup>(١)</sup>.

هذا هو السلوك الذي افتقدته الأسواق الإسلامية سلوك أنصف أبو حنيفة المشتري من نفسه وأنصف البائع نفسه ورضى بالثمن العدل حتى لا يلوّث ما له ولم يتخذ المرأة سخرية ولم يك يريد الإحسان إليها وإنما نفع الله به البائعة والمشتري. نحن أحوج ما نكون إلى السلوك التجاري الذي يبيث في نفوس الناس الطمأنينة والارتياح فقد صارت أسواقنا تُدار بالكذب والخداع والغش والبطش وسوء الخلق وتركت وزارتا التموين والداخلية التجار هم الذين يسعّرون ويرفعون الأسعار متى يشاءون فجهم الدنيا الأسواق وكل شهرين أو ثلاثة أشهر تعلن الصحف عن حملة من التموين والداخلية حرروا ألف مخالفة وحوّلت إلى المحاكم . ولا نزيد عن هذا حتى لا يُتهم القلم بأنه إرهابي نسأل الله العافية من هذه الفتن ورحم الله أبا حنيفة.

#### • بلاء أبي حنيفة وعزوفه عن المناصب والراتب :

شخصية هذا الرجل لها مفتاح ومفتاحها الخشية من الله تعالى والخوف من المساءلة والعتاب يوم الفصل.

لقد أتت إليه الدنيا تحبو وتترلف إليه في ذلة تدعوه للقرب من الحكام

(١) أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام ص ١١٩.

ويلى القضاء، بيد أن الإمام أبي وأصرّ على عدم القبول ولم تلبس له قناة ففسروه على القبول فرفض. وضربوه بالسياط مائة سوط وعشرة أسواط فازداد إباءاً ورفضاً ووردت روايات كثيرة في هذا البلاء للرجل وهو في مرحلة لا يتحمّل سياط الحكام ولا ظلمهم.

- عن عبيد الله بن عمرو أن ابن هبيرة<sup>(١)</sup> ضرب أبا حنيفة مائة سوط وعشرة أسواط في أن يلى القضاء فأبى وكان ابن هبيرة عامل مروان على العراق في زمن بني أمية.

- وعن الربيع بن عاصم مولى بني فزارة قال : أرسلني يزيد ابن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة فأرادته على بيت المال فأبى فضربه أسواطاً.

#### • أثر بلاء أبي حنيفة على أسرته :

لقد سبق أنه تألم لدموع أمه حين رأت السياط تلهب جسده، ولقد ورد عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : قال : مررت مع أبي بالكناسة فبكي فقلت له يا أبت ما يبكيك؟ قال : يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلى القضاء فلم يفعل<sup>(٢)</sup>.

#### • حوار بين أبي جعفر وأبي حنيفة :

فعن مغيث بن بديل أنه قال : قال خارجة : دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء فأبى عليه فحبسه ثم دعا به يوماً فقال : أترغب عما نحن فيه؟ قال

(١) ابن هُبَيْر: بضم الهاء وفتح الباء وسكون ثالثة: هو أبو خالد يزيد بن عمر الفزاري : نائب مروان الحمار كان بطلاً شجاعاً سائساً جواداً فصيحاً خطيباً .. سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٠٧ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٧.

أبو حنيفة: أصلح الله أمير المؤمنين : أنا لا أصلح للقضاء، فقال أبو جعفر: كذبت، ثم عرض عليه ثانية . فقال أبو حنيفة : قد حكم عليَّ أمير المؤمنين أن لا أصلح للقضاء لأنه ينسبني إلى الكذب. فإن كنت كاذباً فلا أصلح وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أن لا أصلح، فردّه إلى الحبس. و يبدو من هذه الروايات وغيرها أن هناك أكثر من جهة أجبرت الإمام على القضاء.

### • نجم أفل :

وردت روايات مختلفة تتحدث عن الأيام الأخيرة في حياة الإمام أبي حنيفة منها أنه حمل إلى بغداد فعاش خمسة عشر يوماً ثم سُقي فمات <sup>(١)</sup>. وقيل : إنه توفّي في السجن <sup>(٢)</sup>. وقيل : مرض ستة أيام ثم مات بعدها <sup>(٣)</sup>. ومات عن سبعين سنة . ولد سنة ثمانين من الهجرة ومات سنة مائة وخمسين، ودفن الإمام في الخيزران، رحم الله الإمام أبا حنيفة. انتهى الحديث عن الإمام الأعظم

## الإمام مالك بن أنس

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إمام دامر الهجرة

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٩.

## الإمام مالك بن أنس بن مالك

### • نسبه:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث. ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث ذى إصبع الحميري من ملوك اليمن العربي<sup>(١)</sup>.

### • مولده:

حملت والدته الإمام مالك به على خلاف المعهود من النساء واستمرت مدة حملة ثلاث سنوات وهذا يقع في البشر. (فعن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين، يعني نفسه، قال: وسمعت غير واحد يقول: حمل بمالك ثلاث سنين)<sup>(٢)</sup>.  
وُلد الإمام مالك في ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين من الهجرة على الراجح وكان أبو أنس راوية للحديث وكان مقعداً يحترف صناعة النبل<sup>(٣)</sup>.

### • نشأته في طلب العلم:

بدأ مالك حياته العلمية صغيراً متأثراً بالبيئة التي نشأ فيها وانصاع لأمر أمه حين وجهته لطلب العلم (فقد حكى أنه كان يريد أن يتعلم الغناء فوجهته إلى طلب العلم، يقول مالك: حينما بلغت سن التعليم عممتني وقالت: اذهب فاكتب الحديث ولعلها كانت تريد أن تسترجع فيه علم جده مالك. فقد كان

(١) أئمة الحديث للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم ص ٩٠ سلسلة البحوث الإسلامية.

(٢) صفة الصفوة ج ١ ص ٤٣٧.

(٣) أئمة الحديث ص ٩٠.

كتاب الحديث للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم ص ٩٠ سلسلة البحوث الإسلامية (٢)

سعداً بن ثلثة له

من كبار التابعين . روى عن كثير من الصحابة وكان ثقة . وهو أحد الذين كتبوا المصحف الشريف في عهد عثمان رضي الله عنه . وانطلق يلتمس العلم فأحبه من صغره وحرص على جمعه وتفرغ له ولازم العلماء وحمل عنهم العلم والعمل . ولعل أشدهم أثراً في تكوين عقليته العلمية التي عرف بها هو : أبو بكر عبد الله بن يزيد المعروف بابن هرمز المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة . فقد روى عن مالك أنه قال : كنت آتي ابن هرمز من بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل يقضى معه اليوم كله من الصباح إلى المساء سبع سنين وكان ابن هرمز يجله ويخصه بما لا يخص به غيره لكثرة ملازمته له .

أما ابن هرمز : فهو العالم النائر الجري الذي خرج مع محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية ضد أبي جعفر المنصور وحمل سلاحه وحارب فلما خمدت الثورة وأوقف أمام الوالي سأله عن سبب خروجه فقال فتنة شملت الناس فشملتنا فيهم فتركه الوالي لمكانه ومكانته عند الناس .

و أخذ العلم أيضاً عن الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وهو أول من دوّن الحديث ومن أشهر شيوخ المدينة وقد روى عنه مالك في الموطأ مائة واثنين وثلاثين حديثاً . وروى مالك عن نافع مولى ابن عمر . وأخذ عن جعفر الصادق الإمام الشيعي من آل البيت وأخرج له في الموطأ تسعة أحاديث . وروى عن هشام بن عروة ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد بن أبي سعيد المقبري وغيرهم وقد بلغ عدد شيوخه ثلاثمائة من التابعين وستمانه من أتباع التابعين <sup>(١)</sup> .

(١) أئمة الحديث النبوي ص ٩١ ، ٩٢ ط سلسلة البحوث الإسلامية .

## ● الإمام مالك قوى الحافظة :

كان الإمام مالك قوى الحافظة سريع البديهة ذا قريحة واعية ، وكان جيد التحري في رواية الحديث ، مدققاً في ذلك كل التدقيق لا ينقل إلا عن ثبت ثقة ولا يغتر بمظهر الراوي أو هيئته .

قال الإمام مالك : لقد أدركت في هذا المسجد مسجد رسول الله ﷺ ، سبعين ممن يقول : قال فلان : قال رسول الله ﷺ فما أخذت عنهم شيئاً وأن أحدهم لو أوثقن على بيت مال لكان أميناً عليه إلا أنهم لم يكونوا من هذا الشأن أي أهل الحديث .

و قال : قدم علينا ابن شهاب فكنّا نزدحم على بابه :  
و قال عن نفسه : ربما وردت على المسألة فأسهر فيها عامة ليلتي . لقد بهر مالك أساتذته كما بهر أقرانه بمواهبه الفطرية وجهاده الدائب وشغفه الشديد بالعلم <sup>(١)</sup> .

لم يرحل الإمام في طلب الحديث كعادة طلاب العلم في ذلك الوقت فهي أي الرحلة من السمات المميزة لأهل الحديث . ولعل الإمام مالكا كان يعتقد أن العلم علم أهل المدينة لأن ينبوع الحديث كان يتفجر من رياض المدينة المنورة قال الليث بن سعد : وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن .

و رغم أن مالكا لم يرحل ولم يظعن إلا أنه لم يخسر شيئاً فلقد كانت المدينة ملاذ العلماء ولم يخلُ محدث ممن رحلوا من المرور بها لزيارة الرسول ﷺ .

(١) المرجع السابق ص ٩٣ .

وليلتمس العلم من مصدره فالتقى مالك بأكثرهم واستفاد، فأهل العلم أتوا إلى المدينة فأفادوه فاستفاد أكثر من الرحلة.

#### • روى النبي ﷺ شهادات لمالك :

لقد رأى بعض الناس رؤيا لمالك ، ورأى مالك لنفسه كثيراً من الرؤى كلها شهادات ونفحات لمالك.

أولاً: «عن محمد بن عاصم ثنا<sup>(١)</sup> عبد العزيز بن أبان ثنا المثنى بن سعيد القصير

قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ»

ثانياً: «عن إسماعيل بن مزاحم المروزي وكان من أصحاب ابن المبارك من

العباد: قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من نسأل

بعدك؟ قال: مالك بن أنس».

ثالثاً: «حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني محمد بن الحسين حدثني

مطرف أبو صعب حدثني عبد الله مولى الليثيين وكان مختاراً، قال: رأيت

رسول الله ﷺ في المسجد قاعداً والناس حوله ومالك قائم بين يديه وبين

يدى رسول الله ﷺ مسك وهو يأخذ منه قبضة فيدفعها إلى مالك

ومالك ينشر على الناس قال مطرف: فأولت ذلك العلم واتباع

السنة».

رابعاً: «عن محمد بن ربح التجيبي قال: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم

فقلت: يا رسول الله قد اختلف علينا في مالك والليث فأيهما أعلم؟

قال: مالك ورث حدّي معناه علمي»<sup>(٢)</sup>.

(١) ثنا: هذه تتكرر ، ومعناها: حدثنا. فهي مختصرة في السند.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ج ٦ ص ٣١٧.

#### • إجازة العلماء للإمام مالك للفتيا :

حين استوى الإمام مالك في ميدان العلم ولم يتجاوز حده ولم يذهب إلى

مقام الإفتاء ولم تتطلع إليه نفسه كما يفعل الذين قرأوا قشور العلم ولم يطعموا

لبه ويخطئون في فتواهم لم يفعل ذلك الإمام مالك وأحجم عن الإفتاء حتى سأل

أكابر العلماء هل هو أهل للإفتاء أم لا؟ فعن الحسن بن عبد العزيز الجروزي ثنا

عبد الله بن يوسف عن خلف بن عمرو قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ما

أجبت في الفتيا حتى سألت من هو أعلم مني. هل يراني موضعاً لذلك؟ سألت

ربيعاً وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك. فقلت له: يا أبا عبد الله فلو هوك؟

قال: كنت أنتهى. لا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو

أعلم منه. قال خلف: دخلت على مالك فقال لي: انظر ما ترى تحت مُصلاي

أو حصيري؟ فنظرت فإذا أنا بكتاب فقال: اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعض

إخوانه فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام في مسجده قد اجتمع الناس عليه. فقال

لهم: إني قد خبأت لكم تحت منبري طيباً أو علماً. وأمرت مالكا أن يفرقه

على الناس. فانصرف الناس وهم يقولون إذا ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ

ثم بكى فقمتم عنه».

#### • شهادة سبعين عالماً لمالك بالإفتاء :

عن محمد بن علي بن عاصم قال: سمعت المفضل بن محمد الجندی يقول:

سمعت أبا مصعب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما أفتيت حتى شهد لي

سبعون أني أهل لذلك»<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٣١٦ ، ٣١٧.

## ● الإمام مالك يصف العلم ويصف العلماء :

ورد عن خالد بن خدّاش قال: «ودعتُ مالك بن أنس فقلت: أوصني يا أبا عبد الله. قال: تقوى الله وطلب الحديث من أهله». «وعن يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب، قال: قال مالك: العلم نور يجعله الله حيث يشاء ليس بكثرة الرواية». «وعن مالك قال: بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء».

«وقيل لمالك بن أنس: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه»<sup>(١)</sup>.

## ● تهيو الإمام مالك لإلقاء الحديث :

كان الإمام مالك يحترم الحديث ويعظمه فإذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ قهياً فتوضأ وسرّح لحيته وجلس متمكناً في جلوسه على صدر فراشه في وقار وهيبة وكأنه في مجلس رسول الله ﷺ.

«حدثنا ابن أبي أويس قال: كان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على فراشه وسرّح لحيته. وتمكن في الجلوس بوقار وهيبة ثم حدث. فقليل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. ولا أحدث به إلا على طهارة متمكناً وكان يكره أن يحدث في الطريق وهو قائم أو يستعجل فقال: أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ».

(١) المرجع السابق ص ٣١٩.

«وعن الفضل بن محمد الجندی يقول: سمعت أبا مصعب يقول: كان مالك لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على الطهارة إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

و من إجلاله لحديث رسول الله ﷺ: أنه تعرض لحشرة لدغته وهو يتحدث بحديث رسول الله ﷺ فصبر ولم يرفع صوته بالاستغاثة فعن ابن المبارك (كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته حشرة كالعقرب ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع الحديث فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له: لقد رأيت منك عجباً، فقال: نعم، إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

## ● التحري والدقة في فتوى الإمام مالك :

كان يتحرى الدقة في فتاويه وكان يخاف من الله أن يخطئ أو أن يقول برأيه، فعن «عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً ما يجيبه فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج. قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: ما شاء الله يا هذا، إني إنما أتكلم فيما احتسب فيه من الخير وليس أحسن مسألتك».

و عن عبد الرحمن بن مهدي قال: سأل رجل مالكا عن مسألة فقال إني لا أحسنها فقال الرجل: إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها. فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أني قد قلت لك: إني لا أحسنها».

(١) المرجع السابق ص ٣١٨.

(٢) أئمة الحديث ص ٩٤.

«وقال صديق لمالك بن أنس، قال: قلت لمالك يا أبا عبد الله يأتيك ناس من بلدان شتى قد أنضوا مطاياهم وأنفقوا نفقاتهم يسألونك عما جعل الله عندك من العلم تقول: لا أدري، فقال: يا عبد الله يأتيني الشامي من شامه والعراقي من عراقه والمصري من مصره فيسألونني عن الشيء لعلني أن يبدوا لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟»<sup>(١)</sup>

### • الإمام مالك صمام أمان للمسلمين:

كان الإمام يدافع عن الدين دفاعاً يريد به وجه الله فأثر ذلك في الناس ومن كلام الإمام مالك حين «سئل عن الداء العضال فقال: الخبث في الدين».

«وعن محمد بن إسحاق قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: قدمت المدينة ومالك حي فتقدمت إلى فامي فقلت: عندكم خلٌ خمر؟ فقال: سبحان الله، في حرم رسول الله ﷺ، قال: ثم قدمت المدينة بعد موت مالك، فذكرت لهم فلم ينكروا»<sup>(٢)</sup>.

ولقد هبت موجة من موجات القدرية والمشبهة على المدينة وتعامل معهم الإمام مالك بحجة دحضت فكرهم، وبددت مذهبهم ووعاها العلماء في كل عصر، فعن (جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٣)</sup> فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرُّحْضَاءُ - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: كيف منه غير

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج ٦ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ . طدار الكتب العلمية - لبنان.

(٢) المرجع السابق ص ٣١٩.

(٣) سورة طه آية ٥.

معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج»<sup>(١)</sup>.

ومعناه: الاستواء معلوم من حيث اللغة، وفي حق الله مجهول. فإن الله يعلمه، أو أن الله صفة هي صفة الاستواء قائمة بذاته.

«وعن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول لرجل: سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فلا بد من أن يكون ما قال الله»<sup>(٣)</sup>.

«وعن الحسن بن عبد العزيز قال: سمعت أبا حفص يقول: سمعت مالك ابن أنس يقول: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، قوم يقولون ناظرين إلى ثوابه، قال مالك: كذبوا، فأين هم عن قول الله تعالى ﴿كَلَّا إِلَهُمُّ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُوبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

و عن عثمان بن صالح: جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة قال: فقال له: قال رسول الله ﷺ كذا، فقال الرجل: رأيته؟ قال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

### • صفة الإمام مالك:

كان الإمام مالك كريماً سمحاً غيوراً في الله، وكان مهيباً حازماً في الدفاع

(١) المرجع السابق ص ٣٢٥ ، ٣٢٦.

(٢) سورة السجدة آية ١٣.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٦.

(٤) سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣.

(٥) سورة المطففين آية ١٥.

عن الحق يكره الجدل واللغط ورفع الصوت خاصة في مجلس الحديث. وكان متواضعاً: ومع تواضعه كان لا يهاب السلاطين ويرسم للعامة طريق المصارحة بالحق معهم ومظاهر ذلك:

«ناظره أبو جعفر المنصور في مسجد رسول الله ﷺ فرفع صوته: فقال له مالك: يا أمير المؤمنين: لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله ﷻ أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، ومدح أقواماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾»<sup>(١)</sup>.

و أيضاً: «لما قدم الخليفة المهدي المدينة، أقبل الناس عليه مسلمين فلما أخذوا مجالسهم جاء مالك فقالوا: اليوم يجلس مالك آخر الناس، فلما دنا ونظر ازدحام الناس وقف، وقال: يا أمير أين يجلس شيخك مالك؟ فناداه المهدي: عندي يا أبا عبد الله. فتخطى الناس حتى وصل إليه فرفع المهدي ركبته اليمنى وأجلسه بجانبه»<sup>(٢)</sup>.

وهذا التصرف يصدر عن فهم واسع وعن شخصية لها فكرها العميق تحترم العلم فدفعه احترامه للعلم إلى احترام نفسه في موطن يُدفع الناس في مجلس الأمير.

وتحدث الإمام مالك عن وقار العلم فعن «ابن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: تأتي أمة محمد ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء. قال مالك: أراهم صدر هذه الأمة، قال مالك:

(١) أئمة الحديث النبوي ص ٩٦.

(٢) المرجع السابق.

وحق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله فلا تمكّن الناس من نفسك فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذُل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه»<sup>(١)</sup>.

### ● بلاء مالك بن أنس كبلاء أبي حنيفة:

يبدو أن علماء هذه الأمة نالوا من أبنائها الذل والإهانة فليست هناك على وجه البسيطة أمة متحضرة تفعل بأقمارها كما فعلت هذه الأمة بأقمارها وليس أمر أبي حنيفة ببعيد، ولقد أصاب مالكا أهوان. وشرب من الكأس الذي شرب منه أبو حنيفة فضرَبَ مالك وحلقوا رأسه وحملوه على بعير وطافوا به «حدثنا أحمد بن إسحاق. ثنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن راشد، قال: سمعت أبا داود يقول: ضربَ جعفر بن سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره، وحكى لي بعض أصحاب ابن وهب عن ابن وهب أن مالكا لما ضرب حلق وحمل على بعير فقيل له: نادِ على نفسك، قال: فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي. وأنا أقول: طلاق المكره ليس بشيء. قال: فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال: أدركوه أنزلوه»<sup>(٢)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ٣١٦.

• أقوال العلماء في الإمام مالك :

الإمام الشافعي :

«عن محمد بن الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي يقول: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز».

«وعن محمد بن الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي <sup>سَمِعْتُ</sup> يقول: إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يدك به».

«و عن محمد بن الربيع سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله»<sup>(١)</sup>.

سفيان بن عيينة :

«عن ابن وهب عن سفيان بن عيينة قال: كان مالك لا يأخذ الحديث إلا من جيده».

«وعن حاتم بن الليث الجوهري ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان: قال: كان مالك ينتقى الرجال ولا يحدث عن كل أحد، قال: علي: ومالك أمان

فيمن حدث عنه من الرجال، كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم إلا عن من يعرف ما يقول».

«وعن الحسن بن عمر بن يزيد قال: سمعت القعني يقول: أتينا سفيان بن عيينة فرأيت حزيناً فقيل: بلغه موت مالك بن أنس - رحمه الله - . ثم قال:

سفيان: ما ترك علي الأرض مثله»<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢١.

حماد بن زيد :

«عن الفضل بن سهل يقول: سمعت القواريري يقول: كنا عند حماد بن زيد وجاءه نعي مالك بن أنس فقال: رحم الله أبا عبد الله كان من السدين بمكان»<sup>(١)</sup>.

عبد الرحمن بن القاسم :

«عن الحارث بن مسكين قال: كان عبد الرحمن بن القاسم يقول: إنما اقتدى في ديني برجلين: مالك بن أنس في علمه، وسليمان بن القاسم في ورعه»<sup>(٢)</sup>.

«عن محمد بن إدريس الشافعي: قال: قالت لي عمي ونحن بمكة رأيت الليلة عجباً فقلت لها وما هو؟ قالت: رأيت كأن قاتلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض. قال الشافعي فحسبنا ذلك فإذا هو يوم مات مالك بن أنس»<sup>(٣)</sup>.

عبد الله بن المبارك :

«عن نعيم بن حماد قال: سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك بن أنس: ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٠.

(٤) المرجع السابق.

## الحديث عن الموطأ

ترك الإمام مالك علماً وأحاديث جمعها، ومذهباً فقهياً . وأودع هذا العلم في عقول تلاميذه، لقد روى عنه تلميذه الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان، وكثيرون من شيوخ الإمام البخاري والإمام مسلم، وأئمة الحديث والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري.

والكتاب الذي جمع فيه الأحاديث هو الموطأ « قال القاضي أبو بكر ابن العربي في شرح الترمذي : الموطأ هو الأصل واللباب وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي وعدد أحاديث الموطأ كما قال أبو بكر الأبهري: جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً المسند منها ستمائة حديث والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثاً والموقوف ستمائة وثلاثة عشر ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون . وقد ورد غير ذلك في عدده »<sup>(١)</sup>.

## • مدة جمع الموطأ:

جمع الإمام مالك أحاديث الموطأ في ستين سنة ذاق خلال تحصيله لهذا الكتاب مرارة الفقر ونار البؤس «فعن يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب عن مالك. قال: لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل حاجة»<sup>(٢)</sup>.

(١) أئمة الحديث ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣١ .

وهذا يدل على أن الإمام مالكا كان يعيش في شظف من العيش وقلة ذات اليد ومع هذا جادت قريحته بالموطأ واستغرق العمل فيه نحو ستين سنة «فعن العباس بن الوليد البيروني ثنا أبو خنيد قال: أقمت على مالك فقرأت الموطأ في أربعة أيام فقال: مالك: علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام؟ لا فقهتم أبداً»<sup>(١)</sup>.

## • الإمام مالك يرفض التعصب للموطأ:

علم الإمام مالك هذه الأمة أمراً وهو عدم التعصب، فلهوى في الدين الإسلامي مرفوض، والتعصب لمذهب دون آخر مردود، وكانت هناك فرصة للإمام مالك أن ينتشر كتاب الموطأ في البلاد الإسلامية، ولا يكون إلا هذا الكتاب وتتوارى المذاهب الأخرى ويسود فكر مالك ومذهبه ولكنه أبى وهذا الإباء كان درساً لأمة الإسلام في تخليها عن التعصب والمصادرة على المذاهب الأخرى وظهر هذا في موقفين :

الأول: «عن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت مالك بن أنس يقول: شاورني هارون الرشيد في ثلاث: في أن يعلق الموطأ في الكعبة. ويحمل الناس على ما فيه، وفي أن ينقض منبر النبي ﷺ ويجعله من جوهر وذهب وفضة وفي أن يقدم نافع بن أبي نعيم إماماً يصلي في مسجد رسول الله ﷺ فقلت: يا أمير المؤمنين: أمّا تعليق الموطأ في الكعبة فإن أصحاب رسول الله ﷺ: اختلفوا في الفروع وتفرقوا في الآفاق، وكلٌّ عند نفسه مصيب، وأمّا نقض منبر رسول الله ﷺ واتخاذك إياه من جوهر

(١) المرجع السابق.

وذهب وفضة فلا أرى أن تُحرّم النَّاسُ أثر النَّبي ﷺ، وأما تقدّمك  
نافعاً إماماً يصلى بالناس في مسجد رسول الله ﷺ فإن نافعاً إماماً في  
القراءة لا يُؤمن أن تندّر منه نادرة في المحراب فتُحفظ عليه قال:  
هارون الرشيد: وفقك الله يا أبا عبد الله<sup>(١)</sup>.

الثاني: «عن أبي زرعة الدمشقي قال: سمعت أبا مسهر يقول: سأل المأمون  
مالك بن أنس هل لك دار؟ فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار  
وقال: اشتر لك بها داراً، قال: ثم أراد المأمون الشخوص، وقال:  
لمالك: تعال معنا، فإني عزمّت أن أحمل النَّاسَ على الموطأ كما حمل  
عثمان النَّاسَ على القرآن فقال له مالك: مالك إلى ذلك سبيل وذلك  
أن أصحاب النَّبي ﷺ اختلفوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل  
مصر علم، ولا سبيل إلى الخروج معك فإن النَّبي ﷺ قال: والمدينة  
خير لهم لو كانوا يعلمون: وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكبر  
خبث الحديد: وهذه دنائيركم فإن شئتم فخذوه وإن شئتم  
هقدوه<sup>(٢)</sup> الإمام مالك في الإسلام وساقه للأمة الإسلامية فهل يعنى  
هذا الذين قرأوا من العلم بعض سطوره، ولاكوا بعض قشوره، وتعسروا في  
هضم لُبّه وانفردوا بقول واحد أو مذهب واحد وعمّوا عن آراء غيرهم  
الصحيحة والمذاهب الأخرى، وطفقوا يُشوّشون على المذاهب الأخرى، وقد  
يرمون غيرهم بالكفر، وبعض هؤلاء صاروا يشككون العوام وتحير العوام.  
وآخر بدع هؤلاء المنتطعين أن علماء الأزهر كفرة لأنهم معتزلة وأشاعرة هل

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

العوام يعرفون المعتزلة والأشاعرة حتى يقال لهم ذلك؟

يا أمة الإسلام: علماء الأزهر أصمّة<sup>(١)</sup> أمان لهذه الأمة، فاحذروا  
الانزلاق وراء هؤلاء المنتطعين، ويوم القيامة سنرى من هو على الصراط  
المستقيم، ومن الذى تفرق إلى السبل الأخرى.

### • وفاة الإمام مالك:

بعد الحياة العريضة الحافلة بالعلم والأحداث والى عاشها الإمام مالك  
ولكل مخلوق نهاية فلقد غرب نجم من أنجم هذه الأمة وأفل ورحل عنها، فتوفي  
- رحمه الله - في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة عن خمس وثمانين سنة  
قضاها في خدمة العلم والدين وأعطى للأمة صورة مشرفة للعالم العامل،  
وصلّى عليه أمير المدينة عبد الله بن محمد بن إبراهيم العباسي وشيّع جنازته  
وشارك في حمل نعشه ودفن بالبقيع بمكة وأرضاه.

(١) الأصمّة: جمع صمّام



لا أجده عبارات أبداً بها ولا كلمات بليغة فصيحة ولا ألفاظاً جزلة أقدم بها هذا الإمام، كهذه العبارات والكلمات والألفاظ التي قدّم له بها الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني صاحب كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء».

قال أبو نعيم - رحمه الله - : «ومنهم الإمام الكامل العالم العامل، ذو الشرف المنيف، والخلق الظريف، له السخاء والكرم، وهو الضياء في الظلم، أوضح المشكلات، وأفصح عن المعضلات، المنتشر علمه شرقاً وغرباً، المستفيض مذهبه براً وبحراً، المتبع للسنن والآثار، والمقتدى بما اجتمع عليه المهاجرون والأنصار، اقتبس عن الأئمة الأخيار، فحدث عنه الأئمة الأجيال، الحجازي المطلب، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وأرضاه، حاز المرتبة العالية، وفاز بالمنقبة السامية، إذ المناقب والمراتب يستحقها من له الدين والحسب، وقد ظفر الشافعي - رحمه الله تعالى - بهما جميعاً شرف العلم والعمل به، وشرف الحسب وهو قربته من رسول الله ﷺ، فشرفه في العلم ما خصه الله تعالى به من تصرفه في وجوه العلم، وتبسطه في فنون الحكم، فاستنبط خفيات المعاني، وشرح بفهمه الأصول والمباني، ونال ذلك بما يخص الله تعالى به قريشاً من ثبوت الرأي»<sup>(١)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٣، ٦٤.

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٣، ٦٤.

(٣) حلية الأولياء ج ٩ ص ٦٣، ٦٤.

## • نسب الإمام الشافعي:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف<sup>(١)</sup>، فيشترك في النسب مع رسول الله ﷺ.

## • تاريخ ميلاده:

قال الشافعي عن نفسه ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا بن سنتين<sup>(٢)</sup>.

ومن قول الشافعي هذا ندرك أنه ولد بغزة بأرض فلسطين المحتلة نسأل الله أن يفك أسر المسجد الأقصى وفلسطين وبلاد الرافدين، وقيل: إنه ولد بعسقلان.

## • نشأته:

حمل الشافعي كما سبق إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ يتيماً فقيراً فعن وراق الحميدى عن الشافعي قال: كنت يتيماً في حجر أُمِّي ولم يكن معها ما تعطى المعلم وكان قد رضى مني أخلفه إذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة وكان منزلنا بمكة في شعب الحثيف فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة قديمة فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة<sup>(٣)</sup>. وقال الشافعي عن شظف

(١) المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي ج ١ ص ٤٨٢.

(٣) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٣.

عيشه في تلك الفترة، فجئت إلى مصعب بن عبد الله فكلمته أن يكلم بعض أهلنا فيعطيني شيئاً من الدنيا فإنه كان بي من الفقر والفاقة ما الله به عليم فقال لي مصعب: أتيت فلاناً فكلمته فقال لي: تكلمني في رجل كان منّا قال: فأعطاني مائة دينار<sup>(١)</sup> وبعد زواجه وإنجابه بنتاً كان يعيش في شظف من العيش، قال الشافعي: أفلست من دهرى ثلاث إفلاسات فكنت أبيع قليلي وكثيري وحلي ابنتي وزوجتي ولم أرهن قط، وقال لم يكن لي مالٌ وكنت أطلب العلم في الحدائث فكنت أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب عليها<sup>(٢)</sup>.

## • خلبه للعلم:

حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر سنين وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وأذن له في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ثم لازم مالكا<sup>(٣)</sup>.

بدأ الشافعي حياته بأن سلك أودية الشعراء فطفق يحفظ الشعر فكان يتجه إلى البوادي يسمع الشعر ويسجله إلى أن تغير طريقه إلى طريق الفقه عن حسين الكرابيسي يقول: سمعت الشافعي يقول: كنت امرأة أكتب الشعر فأتى البوادي فأسمع منهم، قال: فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط فضربني رجل من وراني من الحجة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلماً، ما الشعر؟ هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قصدت معلماً، تفقه يُعَلِّمُك الله.

(١) المرجع السابق ص ٧١.

(٢) المرجع السابق ص ٧٧.

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحى بن العماد الحنبلى ج ٢ ص ٩.

قال الشافعي فنفعى الله بكلام ذلك الحجي<sup>(١)</sup>.  
ولى الشافعي بعد هذا وجهه إلى الفقه واتجه إلى سفيان بن عيينة فكتب عنه في الحديث ما شاء ثم تتلمذ على يد مسلم بن خالد الزنجي ثم قرأ على مالك بن أنس يقول الشافعي : فنفعى الله بكلام الحجي ورجعت إلى مكة وكتبت من ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي ثم قرأت على مالك بن أنس فكتبت موطأه فقلت له يا أبا عبد الله أقرأ عليك؟ قال: يا ابن أخي، تأتي برجل يقرأه علي فتسمع، فقلت أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي: فقال لي: اقرأ، فلما سمع قراءتي، أذن فقرأت عليه حتى بلغت كتاب السير فقال لي: اطوه يا ابن أخي: تفقه تعل.

#### • رحلات الإمام الشافعي:

رحل الشافعي إلى اليمن مع عم له وكان هذا العم قد ولى القضاء وعاد الشافعي من اليمن ولم يذكر شيء عن فله العلم من اليمن.  
يقول الشافعي : فلما قدمت من اليمن أتيت مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وقال: أحدهم يجيئنا حتى إذا ظننا أنه يصلح أفسد نفسه، قال: فسرت إلى سفيان بن عيينة فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال: قد بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه، وما بلغني إلا خير فلا تعد. يقول الشافعي: ثم خرجت إلى المدينة فقرأت الموطأ على مالك ثم خرجت إلى العراق<sup>(٢)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٠.

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٥.

فهي الفتى لأن يقوم مقام المعنى فلقد أذن له مسلم بن خالد الزنجي بعد أن استوى على ساقه وهو صغير وتفقه على يديه فأذن له بالإفتاء وعمير الشافعي خمس عشرة سنة.

#### • احتكاك فكري في العراق:

خرج الشافعي إلى العراق بعد أن استوى ووقع احتكاك فكري فقهي بين الشافعي وتلاميذ أبي حنيفة في العراق لقد ناظر الشافعي أصحاب محمد بن الحسن، فشكاه الأصحاب إلى شيخهم محمد بن الحسن ذلك فقلت له: إنا كنا لا نعرف إلا التقليد فلما قدمنا عليكم سمعناكم تقولون لا تقلدوا واطلبوا الحق والحجاج فقال لي: فنأظرني فقلت له: أناظر بعض أصحابك وأنت تسمع فقال: لا، إلا أنا، قال: فقلت: ذلك.  
قال: فتسأل أو أسأل؟ قلت: ما شئت.

#### بدء المناظرة:

قال محمد بن الحسن : فما تقول في رجل غصب من رجل عموداً فبنى عليه قصراً فجاءه مستحق فاستحقه؟  
قال الشافعي : قلت يخير بين العمود وقيمه. فإن اختار العمود هُدم وأخرج العمود، فردّه على صاحبه.  
قال محمد بن الحسن : فما تقول في رجل : غصب من رجل خشبة فبنى عليها سفينة ثم لجج بها في البحر ثم جاء صاحبها فاستحقها؟  
قال الشافعي : قلت تقدم إلى أقرب المرسين فيخير بين القيمة وبين الخشبة فإن أخذ قيمتها وإلا نقض السفينة ورد الخشبة إلى صاحبها.

قال محمد بن الحسن: فماذا تقول في رجل غصب من رجل خيط إبريسم<sup>(١)</sup> فخاط به خُرجه ثم جاء صاحبه فاستحققه؟

قال الشافعي: قلت: له قيمته.  
فكبر وكبر أصحابه.

قال محمد بن الحسن: تركت قولك يا حجازي<sup>(٢)</sup>.

قال الشافعي: فقلت له على رسلك.. رأيت لو أن صاحب القصر أراد أن يهدم قصره ويرد العمود إلى صاحبه ولا يعطيه قيمته كان للسلطان أن يمنعه من ذلك؟

قال محمد بن الحسن: لا.

قال الشافعي: فقلت: رأيت أن صاحب السفينة لو أراد أن ينقض السفينة ويرد الخشبة إلى صاحبها، أكان للسلطان أن يمنعه؟

قال محمد بن الحسن: لا.

قال الشافعي: قلت: رأيت أن صاحب الخرج لو أراد أن ينقض خُرجه ويخرج الخيط الذي خاط به الخرج ويرده على صاحبه أكان للسلطان أن يمنعه؟

قال محمد بن الحسن: نعم.

قال الشافعي: قلت: فكيف تقيس ما هو محظور بما هو ليس بممنوع.

فالخيط لا يخرج سليماً إن نقض الخرج، ولذلك لم يرض الشافعي قياسه على العمود وعلى السفينة.

وجاءت زيادة في رواية أخرى:

(١) الإبريسم: أحسن الحرير.

(٢) المراد أنه لم يقل يمزق الخرج.

قال الشافعي: فقلت لمحمد بن الحسن: يرحمك الله فتقيس على مباح بمحرّم؟ هذا حرام عليه وهذا مباح له.

قال محمد بن الحسن: فكيف تصنع بالسفينة.

قال الشافعي: قلت: أمره أن يقرب إلى أقرب المراسي إليه مرسى لا يهلك فيه ولا أصحابه فأنزع اللوح وأدفعه إلى أصحابه وأقول له: أصلح سفينتك واذهب.

قال محمد بن الحسن: أليس قال ﷺ: لا ضرر ولا ضرار.

قال الشافعي: فقلت: من ضارّه؟ هو ضار نفسه.

قال الشافعي: وقلت له: ما تقول في رجل: غصب من رجل جارية فأولدها عشرة من الولد. كلهم قد قرأ القرآن وخطب على المنابر وقضى بين المسلمين ثم أثبت صاحب الجارية بشاهدين عدلين أن هذا غصبه هذه الجارية وأولدها هؤلاء الأولاد، بم تحكم؟

قال محمد بن الحسن: أحكم بأولاده أرقاء لصاحب الجارية وأرد الجارية عليه.

قال الشافعي: فقلت: نشدتك الله أيهما أعظم ضرراً؟ إن رددت أولاده رقيقاً أو إن قلعت الساجّة؟<sup>(١)</sup>

#### ● الإمام الشافعي يجيد الرماية:

لقد تعلم مع طلب العلم فن الرماية وقواعدها: يقول الشافعي: كانت نهمتي في شيئين في الرمي طلب العلم. فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من

(١) الخشبة المغتصبة التي كانت في السفينة.

العشرة عشرة وسكت عن العلم، يقول عمرو بن سواد فقلت له: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي<sup>(١)</sup>.

#### • الإمام الشافعي تظهر عليه الفراسة:

«الفراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها»<sup>(٢)</sup> وهي النظر في الشيء والتثبت فيه ورؤية مخايل الخير والشر فيه. ولقد جمع كتبها الإمام الشافعي حين رحل إلى اليمن يقول الشافعي: خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها<sup>(٣)</sup>. وكان ينظر في النجوم وهو حدث ثم نفر منها ودفن كتبها «فعن أبي عبد الله عمرو بن عثمان المكي ثنا ابن بنت الشافعي قال: سمعت أبي يقول: كان الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم وما نظر في شيء إلا فاق فيه فجلس يوماً وامرأة تطلق - ضربها طلق الولادة - فحسب فقال: تلد جارية عوراء على فرجها خال أسود تموت إلى كذا وكذا فولدت وكان كما قال: فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبداً ودفن الكتب التي كانت عنده في النجوم»<sup>(٤)</sup>.

#### • موقفه من كتب الأحناف:

لقد جمع علم أبي حنيفة محمد بن الحسن وهو الذي دوّنه وأبو يوسف شغل بالإفتاء ولما رحل الإمام الشافعي إلى العراق جمع كتب محمد بن الحسن وطقق يتدبرها ويرد عليها فعن أحمد بن سريح قال: سمعت الشافعي يقول:

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٧.

(٢) المعجم الوجيز ص ٤٦٦ مادة فرس.

(٣) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٨.

(٤) المرجع السابق.

أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً - يعني ردّاً<sup>(١)</sup> عليها.

#### • بلاء الشافعي:

يبدو أن الأئمة الأربعة كان بلاؤهم من الأمة ومن الأمراء واحداً ولقد وردت روايتان كانتا السبب في بلاء الإمام الشافعي. أما الأولى:

لما خرج الشافعي إلى اليمن وقد خرج به الخارجي - أي أحد الخوارج على هارون الرشيد - وطعن الشافعي على الخارجي وأعرض عمن ساعده ورفع من قعد عنه فبلغ ذلك الخارجي ما يقول فيه فبعث إليه فأحضره عنده وهم بقتله فلما سمع كلامه وتبين له شرفه وفضله وعفته عفا عنه وعرض عليه قضاء اليمن فامتنع من ذلك. ثم أشخص هارون جيشه إلى ذلك الخارجي فقبض عليه وحمل إلى بساط السلطان، وحمل معه الشافعي وأحضرا جميعاً بين يدي الرشيد فأمر بقتلهما فقال له الشافعي: يا أمير المؤمنين: إن رأيت أن تسمع كلامي وتجعل عقوبتك من وراء لساني ثم تضمني بعد ذلك إلى ما يليق لي من الشدة والرخاء فقال له: هات. فبين له القصة وعرفه شرفه وذكر له كلاماً استحسنته هارون وأمره أن يعيده عليه، فأعاد تلك المعاني بالفاظ أعذب منها فقال له: هارون: كثر الله في أهل بيتي مثلك، وكان محمد بن الحسن حاضراً فلم يقصّر وخلق له السبيل<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨١.

أما الثانية:

وردت مسألة من هارون الرشيد يدعو الناس إليها وقد استكتمها الفقهاء فأجابوه إلى ذلك وقبلوها منه طوعاً ومنهم كرهاً، فجاء بالمسألة إلى الشافعي فلما نظر فيها قال: غفل والله أمير المؤمنين عن الحق وأخطأ المسير عليه بهذا. وحق الله علينا أوجب وأعظم من حق أمير المؤمنين وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ. وخلاف ما اعتقدته الأئمة والخلف. فكتب بذلك إلى هارون. فكتب في حمله مقيداً فحُمِلَ حتى أُخْضِرَ في دار أمير المؤمنين فأجلس في بعض الحجر ثم دخل محمد بن الحسن وبشر المريسي جميعاً، فقال لهما هارون الرشيد: القرشي الذي خالفنا في مسألتنا قد أُخْضِرَ في دارنا مقيداً، فما الذي تقولان في أمره؟ فقال محمد بن الحسن: يا أمير المؤمنين، وقد بلغني أيضاً أنه قد خالف صاحبه - أي مالك بن أنس - وقد رد عليه وعلى صاحبي أيضاً، وجعل لنفسه مقالة يدعو الناس إليها ويتشبه بالأئمة<sup>(١)</sup>.

#### • ضبط الشافعي وإحضاره والتجاؤه إلى الله:

في رواية للفضل بن الربيع من روايات متعددة عن أبي نصر المخزومي الكوفي ثنا الفضل بن الربيع - حاجب هارون الرشيد - قال: دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فإذا بين يديه صيابة سيوف وأنواع من العذاب فقال لي: يا فضل: قلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: عليّ بهذا الحجازي - يعني الشافعي - فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ذهب هذا الرجل قال: فأتيت الشافعي: فقلت له: أجب أمير المؤمنين، فقال: أصلي ركعتين. فصلي ثم

(١) المرجع السابق ص ٨٢.

ركب بغلة كانت له، فصرنا معاً إلى دار الرشيد فلما دخلنا الدهليز الأول، حرك الشافعي شفتيه فلما دخلنا الدهليز الثاني حرك شفتيه، فلما وصلنا بحضرة الرشيد قام إليه أمير المؤمنين كالمستريب له فأجلسه موضعه وقعد بين يديه يعتذر إليه وخاصة أمير المؤمنين قيام ينظرون إلى ما أعد له من أنواع العذاب وهو جالس بين يديه فتحدثوا طويلاً ثم أذن له بالانصراف، فقال لي يا فضل: قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: احمل بين يديه بدرة<sup>(١)</sup> فحملت فلما سرنا إلى الدهليز الأول، قلت: بالذي صير غضبه عليك رضا إلا ما عرفتني ما قلت في وجه أمير حتى رضى فقال لي: يا فضل، قلت: لبيك أيها السيد الفقيه. قال: خذ مني واحفظ عني.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>. اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وبركة طهارتك، وبعظمة جلالك، من كل عاهة وآفة، وطارق الجن والإنس إلا طارقاً يطرق بخير منك يا رحمن، اللهم بك ملاذى قبل أن ألوذ، وبك غيائى قبل أن أغوث، يا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْفَرَاغَةِ، وخضعت له مغاليط الجبابرة، ذكرك شعاري، وثناؤك دثاري، أنا في حوزك ليلي ونهاري، ونومي وقراري، أشهد أن لا إله إلا أنت، اضرب عليّ سرادقات حفظك، وقني واغني بخير منك يا رحمن. قال الفضل: فكتبتها، وكان الرشيد كثير الغضب عليّ فكان كلما هم أن يغضب أحرکها في وجهه فيرضى، فهذا ما أدركت من بركة

(١) كيس فيه مقدار من المال يُتَعَامَلُ بِهِ وَيُقَدَّمُ فِي الْعَطَايَا.

(٢) سورة آل عمران آية ١٨.

الشافعي<sup>(١)</sup>، لقد سمح الرشيد له بآلاف الدينارات ويفرقها في الطريق ولا يأخذ منها شيئاً، ولقد وردت روايات متعددة في هذا الأمر فمن أراد المزيد فليرجع إلى حلية الأولياء.

#### • وصية الشافعي لمعلم أولاد هارون الرشيد:

لقد تحوّل بعض هارون الرشيد للشافعي إلى حب ووداد فكان يتردد عليه وفي زيارة للشافعي أرشد معلّم أولاد هارون الرشيد إلى فلسفة علم النفس التعليمي، وإلى أصوله فأفاد أولاد الرشيد وأفاد الأمة.

فعن نمشل بن كثير عن أبيه قال: أدخل الشافعي يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليُستأذن له ومعه سراج الخادم فأقعد عند أبي عبد الصمد مؤدّب أولاد هارون الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدّبهم فلو أوصيته بهم فأقبل عليه فقال الشافعي: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين، إصلاحك نفسك،

فإن أعينهم معقودة بعينك.

فالحسنُ عندهم ما تستحسنه والقبیح عندهم ما تكرهه.

علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه.

ولا تتركهم منه فيهجروه.

ثم روهم من الشعر أعفّه

و من الحديث أشرفه

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٧٨ ، ٧٩ .

ولا تُخرجه من علم إلى غيره حتى يُحكموه.

فإن ازدحام الكلام في السمع مضلّة للفهم<sup>(١)</sup>.

#### • دعوة الإمام الشافعي للعلم:

عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة<sup>(٢)</sup>.

و لقد بيّن الشافعي ثمرة بعض العلوم فعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول:

من تعلّم القرآن عظمت قيمته.

و من نظر في الفقه نُبل مقداره.

ومن تعلّم اللغة رق طبعه،

و من تعلّم الحساب جزل رأيه،

و من كتب الحديث قويت حجّته،

و من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه<sup>(٣)</sup>.

#### • منهج الشافعي في فقهه وعدم خروجه عن الكتاب والسنة:

لم ينتصر الشافعي لمذهبه ولم يجعل لنفسه في الإسلام طريقاً يخالف طريق الإسلام فيقدّم كتاب الله وسنة رسوله أولاً.

فعن الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول: وقد سأله رجل عن

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٤٨٦ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

مسألة فقال: روى فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ فقال له السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ فرأيت الشافعي أرعداً وانتفض وقال: يا هذا أي أرض تُقلّني وأي سماء تُظلّني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به؟ نعم، على السمع والطاعة»<sup>(١)</sup>.

وعن الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت»<sup>(٢)</sup>. وعن الربيع قال: «سمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا؟ فقال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب ومد يديه»<sup>(٣)</sup>.

يقول أبو حاتم: حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: قال محمد بن إدريس الشافعي: الأصل قرآن وسنة، فإن لم يكن فقياس عليهما، وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد عنه فهو سنة والإجماع أكثر من الخبر المنفرد والحديث على ظاهره، وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أو لاها به، وإذا تكافأت الأحاديث فأصحها إسناداً أو لاها، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب ولا يقاس أصل على أصل، ولا يقال لأصل لم، ولا كيف، وإنما يقال للفرع: لم. فإذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة.

وعن حرملة بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود وما

(١) المرجع السابق ص ٤٨٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: نعمت البدعة هي<sup>(١)</sup>.

### • أقوال العلماء في الإمام الشافعي:

لقد أدلى العلماء بدلائهم في الإمام الشافعي ونسوق شهادة كل واحد منهم.

#### الإمام أحمد بن حنبل:

عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: «يروى في الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصح لهذه الأمة دينها. فنظرنا في المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية فنراه الشافعي»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن ابن راهويه قال: «قال: كنت مع أحمد بمكة فقال لي تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله، فأراني الشافعي»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «قلت لأبي: يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر من الدعاء له. فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدين، وكالعافية للناس، فانظر هل لهُذين من خلف أو عوض؟»<sup>(٤)</sup>.

وورد عن الميموني قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: ستة أدعو لهم في السحر: أحدهم الشافعي»<sup>(٥)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ١٠٥.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٤٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ٤٨٤.

(٤) المرجع السابق ص ٤٨٣.

(٥) المرجع السابق.

و عن محمد بن مسلم بن واره قال: قدمت من مصر فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه قال: قدمت من مصر فأتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه قال: كُتِبَ الشافعي؟ قلت: لا، قال: لا. قال: فرطت. ما علمنا المجمل من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك إلى أن رجعت إلى مصر وكتبتها ثم قدمت»<sup>(١)</sup>.

و عن محمد بن جبريل قال: قال يحيى بن معين لما قدم الشافعي: كان أحمد بن حنبل ينهى عنه فاستقبلته يوماً والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه فقلت: يا أبا عبد الله أنت تنهانا عنه وأنت تتبعه؟ قال: اسكت إن لزمك البغلة انتفعت»<sup>(٢)</sup>.

و عن محمد بن الفضل البزار قال: سمعت أبي يقول: «حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت معه في مكان واحد أو في دار بمكة، وخرج أبو عبد الله باكراً وخرجت أنا بعده فلما صليت الصبح دُرْتُ في المسجد فجلست إلى مجلس سفيان بن عيينة وكنت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حتى وجدته عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جُمَّة فراجية حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: أبا عبد الله، تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعمرو بن دينار وزيايد بن علاقة ومن التابعين ما الله به عليم؟ قال: اسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بزل ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا في فهمك، إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة،

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ٩٩.

ما رأيت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي، قلت من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي»<sup>(١)</sup>.

وورد عن محمد بن ماجه القزويني قال: جاء يحيى بن معين يوماً إلى أحمد بن حنبل فبينما هو عنده إذ مر الشافعي على بغلته فوثب أحمد فسلم عليه وتبعه، فأبطأ ويحيى جالس، فلما جاء قال يحيى: يا أبا عبد الله كم هذا؟ فقال أحمد: دع هذا عنك إن أردت الفقه فالزم ذنب البغلة»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن علي بن حسان ثنا ابن إدريس قال: أخبرني من إخواننا من أهل بغداد. قال: قال أحمد بن حنبل: قدم علينا نعيم بن حماد وحثنا على طلب المسند. فلما قدم علينا الشافعي: وَضَعْنَا على الحجة البيضاء»<sup>(٣)</sup>.

وورد عن أبي العباس الساجي قال: سمعت أحمد بن حنبل ما لا أحصيه في المناظرة تجرى بيني وبينه وهو يقول: هكذا، قال: أبو عبد الله الشافعي ومن ذلك أنه كان يقول: سجدتا السهو قبل السلام، في الزيادة والنقصان، وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي»<sup>(٤)</sup>.

وورد عن عبد الملك بن حبيب بن ميمون بن مهران قال: قال لي أحمد ابن حنبل: مالك لا تنظر في كتب الشافعي؟ فما من أحد وضع الكتب أتبع للسنن من الشافعي»<sup>(٥)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٩٨، ٩٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٠١.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٥) المرجع السابق ص ٩٩.

(٦) المرجع السابق ص ٩٩، ١٠٠.

(٧) المرجع السابق ص ٩٩.

يحيى بن معين :

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أبو الطيب أحمد بن روح الزعفراني قال : كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقال له رجل : يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي ؟ قال : دع هذا عنك ، لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب<sup>(١)</sup> .

بشر المريسي :

ورد عن أبي ثور عن ابن البتاء قال : سمعت بشر المريسي يقول : رأيت بالحجاز فتىً لئن بقي ليكونن - أظنه قال - واحد الدنيا ، فلما كان بعد ذلك قال لي بشر : إن الفتى الذي قلت لك قد قدم ، إذهب بنا إليه ، فسلمنا عليه ثم تساءلنا ، فجعل الشافعي : يصيب وبشر يخطئ ، فلما خرجنا قال : كيف رأيته ؟ قال : قلت : كنت تخطئ وكان يصيب ، قال : ما رأيته أفقه منه<sup>(٢)</sup> .

وورد عن زكريا الساجي ثنا الزعفراني قال : حج بشر المريسي سنة إلى مكة ثم قدم فقال : لقد رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيباً يعني الشافعي<sup>(٣)</sup> .

سفيان بن عيينة :

عن سويد بن سعيد يقول : كنا عند سفيان بن عيينة فجاء محمد بن إدريس فجلس فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً فغشى على الشافعي : فقل يا أبا محمد مات محمد بن إدريس فقال ابن عيينة : إن كان قد مات محمد بن

(١) المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٩٥ .

إدريس فقد مات أفضل أهل زمانه<sup>(١)</sup> .

أبو جعفر الترمذي :

ورد عن إبراهيم بن جعفر بن خليل المقرئ قال : سمعت أبا جعفر الترمذي يقول : أردت أن أكتب كتب الرأي فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله أكتب رأي مالك ؟ قال : ما وافق منه سنتي ، فقلت : يا رسول الله ؟ فأكتب رأي الشافعي ، فقال النبي ﷺ : إنه ليس برأي ، إنه ردُّ علي من خالف سنتي<sup>(٢)</sup> .

العزيمي :

وحدثنا الربيع بن سليمان حدثني أبو الليث الحفاف وكان معديلاً عند القضاة قال : أخبرني العزيمي - وكان متعبداً - قال : رأيت ليلة مات الشافعي في المنام كأنه يقال : مات النبي ﷺ في هذه الليلة ، فكان يقول : أنت تقيل في مجلس عبد الرحمن الزهري في المسجد الجامع وكأنه يقال له : تخرج به بعد العصر فأصبحت فقيل لي : مات ، وقيل : نخرج به بعد الجمعة ، فقلت : الذي رأيته في المنام نخرج به بعد العصر ، وكأنني رأيته في النوم حين أخرج به كان معه سرير امرأة رثة السرير فأرسل أمير مصر أن لا يُخرج به إلا بعد العصر ، فحبس إلى بعد العصر قال : العزيمي : شهدت جنازته ، فلما صرت إلى الموضع الواسع رأيته سريراً مثل سرير تلك المرأة الرثة السرير مع سريره<sup>(٣)</sup> .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠١ .

## أطوار في حياة الشافعي

ولد الشافعي في غزّة عام ١٥٠هـ وبين غزّة وعسقلان عاش مع أمه يتيماً عامين ثم ذهبت به الأم إلى مكة المكرمة فلما بلغ عمره الرابعة طفق يحفظ القرآن الكريم، وأتم حفظه في السابعة من عمره، وخرج بعد ذلك إلى قبيلة هذيل فتعلم كلامها وشرب طبعها فلقد كانت أفصح العرب وتعلم العربية ووعاها واستعان بها على الفقه وكان يحفظ من شعر الهذيليين عشرة آلاف بيت عدا ما حفظه من شعر العرب وخطبهم وبلاغتهم.

أخذ العلم في المسجد الحرام بمكة عن أئمة الفقه والتفسير والحديث واللغة وجلس في حلقة مسلم بن خالد الزنجي، مفتي مكة وفقيهها وسفيان بن عيينة وكان سفيان يقول: هذا أفضل فتيان أهل زمانه.

ثم غادر مكة إلى المدينة المنورة ليأخذ الحديث عن الإمام مالك شيخ المحدثين.

ثم ذهب إلى اليمن وولى قضاء اليمن بمساعدة مصعب بن عبد الله القرشي الذي وصّى عليه وإلى اليمن. وفي اليمن لقي جماعة من العلماء والمحدثين فأخذ عنهم وأفاد منهم. كمطرف بن مازن الصنعاني وعمرو بن أبي مسلمة صاحب الأوزاعي ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد.

واقمه حساده والحاقدون عليه بالعلوية ورفع أمره إلى الرشيد فاستدعاه وساءله ونفى الشافعي التهمة عن نفسه وظل ببغداد.

ولزم بغداد ولم يلبث أن عاد إلى مكة وبعد أحد عشر عاماً عاد إلى بغداد سنة ١٩٥هـ وكان ذلك في خلافة الأمين فقضى في العراق عامين فجلس علماء بغداد إليه وأخذوا عنه العلم.

ثم رحل إلى مصر وكان قد نشأ فيها مدارس فقهية نبغ فيها عبد الله بن وهب. والليث بن سعد، وتلاميذ الليث بن سعد إسحاق بن الفرات وإسحاق بن أبي بكر. وقاد الشافعي حركة فقهية كان لها صداها العميق في العالم الإسلامي.

وكان أهل مصر يعتمدون على عبد الله بن عمرو في فتاويه، ويؤيدون حبيب في فتاويه.

وفي رحلة الشافعي الثانية إلى بغداد في عهد الأمين صارت له حلقة علمية في دار السلام تتلمذ فيها كثيرون منهم الكرابيسي والزعفراني وأبو ثور، والإمام أحمد بن حنبل، وألف الشافعي كتاب «الحجة» الذي رواه عنه هؤلاء الأربعة، ثم ألف كتاب «الرسالة» في مصر وهو كتاب تحمل أبوابه أصول الدفاع عن السنة وشروط صحة الحديث. يقول المزي - تلميذ الشافعي - : قرأت كتاب الرسالة خمسمائة مرة وما من مرة منها إلا واستفدت بفائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى. وبالرسالة وضع الشافعي علماً كاملاً هو علم أصول الفقه، ولقد أذهلت الرسالة الإمام أحمد وابن مهدي، وألف كتاب «الأم» وألف كتاب «أحكام القرآن» وكتاب «اختلاف الأحاديث» وكتاب «إبطال الاستحسان» وكتاب «جماع العلم» وكتاب «القياس» وكتاب «الرد على محمد بن الحسن» وكتاب «اختلاف مالك والشافعي» وكتاب «اختلاف علي وعبد الله بن مسعود» وكتاب «ما اختلف فيه أبو حنيفة وابن أبي ليلى عن أبي يوسف» وكتاب «خلاف ابن عباس» وكتاب «سير الأوزاعي» وكتاب «مسند الشافعي».

لقد تزوج الشافعي من أم ولد «دنابير» وأنجب منها أبا الحسن سنة ٢٠٢هـ وخصص له مرضعة أندلسية اسمها «فوز» فكان له ولدان: أبو عثمان محمد، وأبو الحسن، وابنتان هما: زينب وفاطمة. وهؤلاء مات عنهم الإمام.

#### ● مرض الإمام ووفاته :

لقد مرض الشافعي مرضاً مزمناً لازمة فترة طويلة هو مرض البواسير وسقط القلم من يده وحلّت به رحمة الله ففاضت روحه في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رجب ٢٠٤هـ - ٨٢٠ م، ودفن بمصر، وقد بُني على قبره قبة عام ٦٠٨هـ بناها الملك الكامل الأيوبي وأجرى السلطان قايتباي إصلاحات بضريحه عام ٨٨٥هـ وجدد القبة على بك الكبير عام ١١٨٦هـ وبنت وزارة الأوقاف المسجد ١٣٢٢هـ<sup>(١)</sup>.

و عن الربيع قال : كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته ببسيرة، فوقف علينا أعرابي فسلم ثم قال لنا: أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا توفي رحمه الله. فبكى بكاءً شديداً ثم قال : رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح بيانه منغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح الحجة، ويغسل من العار وجوهاً مسودة، ويوسع بالرأي أبواباً منسدة، ثم انصرف.

و عنه قال : رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال : أجلسني على كرسي من ذهب ونشر علي اللؤلؤ الرطب<sup>(٢)</sup>.

(١) ديوان الشافعي من ص ١٤ - ٢١ بتصريف.

(٢) صفة الصفوة ج ١ ص ٤٨٨.

#### ● عظم نفس الشافعي

للشافعي نفس عظيمة تتسم بالشمم والاعتزاز، ونلمس ذلك في هذه الأبيات التي يتحدث بها عن نفسه:

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرِي      لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ  
وَأَشْجَعَ فِي الْوَعْيِ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ      وَآلِ مُهَلَّبٍ وَبَنِي يَزِيدٍ  
وَلَوْلَا خَشْيَةُ الرَّحْمَنِ رَبِّي      حَسِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَيْدِي

و من ثقة الإمام الشافعي بنفسه؛ أنه ما يهمله - عند مناظرة أحد - أن يكون هو الذي يظهر كما يفعل سائر الخلق فهو يخالفهم في هذا ويجب أن تظهر الحجة على لسان خصمه.

فعن أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ.

و عن الحسين الكرابيسي يقول: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويُسَدَّدَ ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على عزة نفس الشافعي قوله:

أَمْطَرِي لَوْلَوْأَ جِبَالَ سَرَنْدِيدٍ      سَبَّ وَفِيضِي آبَارُ تَكْرُورَ تَبْرَا  
أَنَا إِنِ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قُوْتَا      وَإِذَا مُتُّ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرَا  
هَمُّنِي هَمُّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي      نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذْلَةَ كُفْرَا  
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوْتِ عُْمَرِي      فَلَمَّاذَا أَزُورُ زَيْدَا وَعُمَرَا

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٤٨٤.

قيل إن هذه الأبيات للبارودي، ويجوز أن يكون البارودي استشهد بها.

### • من حكم الإمام الشافعي :

من حكمه في طلب العلم:

- طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .
- طالب العلم يحتاج إلى ثلاث : إحداها حسن ذات اليد، والثانية : طول عمر، والثالثة : يكون له ذكاء.

- استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر .

- من ضحك منه في مسألة لم ينسها أبداً .

- وعن الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي : يا ربيع رضا الناس غاية لا تُدْرَك، فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلم القرآن جَلَّ في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى<sup>(١)</sup>.

### • أشد الأعمال في نظر الشافعي :

عن الربيع بن سليمان : قال: أشد الأعمال ثلاثة : الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق ص ٤٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٨٤ .

### • الاعتدال في معاملة الناس :

- يقول الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط .

- وقال له أيضاً: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن ألقه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا واحذر أن تسمي له المبلَّغ، فإن أنكر ذلك فقل له:

أنت أصدق وأبر، لا تزيدن علي ذلك شيئاً، وإن اعترف بذلك فرأيت له في

ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له : ماذا أردت بما بلغني

عنك؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر

وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار : إن

شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى

وأبلغ في الكرم لقوله الله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ

فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فأفكر فيما سبق له لديك

من الإحسان فعدها ثم أبدر له إحساناً بهذه السيئة، ولا تبخسن باقي إحسانه

السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه. يا يونس إذا كان لك صديق فشد

يديك به فإن اتخاذه الصديق صعب ومفارقته سهل<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٢) صفة الصفوة ج ١ ص ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

## جولة في رياض شعر الإمام الشافعي

سبق أن عرفنا أن الشافعي شغل في أول حياته بالشعر وتنقل في البادية من أجل هذا الغرض ثم أعرض عنه وولى وجهه شطر السنة والفقه، ولقد ترك الشعر فيه أثراً وقال الشعر وله ديوان حققه الأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي بعنوان «ديوان الشافعي، حبر الأمة وإمام الأئمة»

وقامت بنشره مكتبة الكليات الأزهرية، وندخل رياض هذا الديوان نكتطف بعض أزاهيره ونستمع بحلاوة أريجيه ونقف حيال كل شجرة زهر نجنيها ونشرها.

تحت عنوان : «دع الدنيا تفعل ما تشاء»

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وَطَبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ  
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ<sup>(١)</sup>  
ثم يقول:

وَلَا تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ وَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءُ  
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءُ  
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ  
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَآيَا فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ  
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا ضَاقَ الْقَضَاءُ  
دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فَمَا يُغْنِي عَنْ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

(١) الجزع: ضد الصبر. وحادثة الليالي: مصائبها.

(٢) العناء: التعب.

## لا تهزأ بالدعاء

قال الشافعي:

أَتَهْزَأُ بِالْأَدْعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ  
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ  
هَكَذَا الْحَظُّ.

تَمُوتُ الْأَسَدُ فِي الْغَابَاتِ جَوْعاً  
وَعَبْدٌ قَدْ يَنَامُ عَلَى حَرِيرٍ

الشيب نذير الفناء.

خَبَتْ نَارُ نَفْسِي بِاشْتِعَالِ مَفَارِقِي  
أَيَا بَوْمَةً قَدْ عَشَشْتُ فَوْقَ هَامَتِي  
رَأَيْتُ خَرَابَ الْعُمُرِ مِنِّي فَزُرْتَنِي  
أَنْعَمُ عَيْشاً بَعْدَ مَا حَلَّ عَارِضِي  
وَعِزَّةُ عُمَرِ الْمَرْءِ قَبْلَ مَشْيِهِ  
وَمَنْ يَذُقِ الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعَمْتُهَا  
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُوراً وَبَاطِلاً  
وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ

(١) تزدريه: تحتقره.

(٢) الأمد: الغاية ومنتهى الشيء.

(٣) لاح: ظهر وبدا.

وَمَا تُدْرِي بِمَا صَنَعَ الْأَدْعَاءُ<sup>(١)</sup>  
لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَحْمُ الضَّأْنِ تَأْكُلُهُ الْكِلَابُ  
وَذُو نَسَبٍ مَفَارِشُهُ الثَّرَابُ

وَأَظْلَمَ لِيَلِي إِذْ أَضَاءَ شَهَابُهَا  
عَلَى الرِّغَمِ مِنِّي حِينَ طَارَ غُرَابُهَا  
وَمَا وَارِكٌ مِنْ كُلِّ الدِّيَارِ خَرَابُهَا  
طَلَانُ شَيْبٍ لَيْسَ يُغْنِي خَضَابُهَا  
وَقَدْ فَيَّتْ نَفْسٌ تَوَلَّى شَبَابُهَا  
وَسَقِيقُ الْإِنْسَانِ عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا  
كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا<sup>(٣)</sup>  
عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِلَابُهَا

فَإِنْ تَجَنَّبَهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا  
فَطَوَّبِي لِنَفْسٍ أُولَعَتْ قَعْرَ دَارِهَا  
الرد على سفيه السفية :-

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ  
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْمًا  
إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تَجِبْهُ  
فَإِنْ كَلَّمْتَهُ فَرَجَتْ عَنْهُ

دع الأوطان واغترب للرزق :-

مَا فِي الْمَقَامِ لَدِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ  
سَافِرٌ تَجِدُ عَوْضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ  
إِلَيَّ رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ  
وَالْأَسَدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ  
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً  
وَالْتَبَرُ كَالْتَرَبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ  
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ  
فَضِلْ آلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :-

آلُ النَّبِيِّ ذُرِّيَّتِي  
أَرْجُوهُمْ أُعْطِيَ غَدًا

وَهُمُّوا إِلَيْهِ وَسِيلَتِي  
بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي

(١) التبر: هو تراب الذهب المخلوط بتراب الأرض. و العود: هو عود البخور.

وقال أيضاً:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ  
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَلَّكُمْ  
فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ  
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

وقال أيضاً: في حُبِّ الإمام عليّ وسبطيه وفاطمة:

إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذَرُ عَلِيًّا  
يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا  
بَرَأْتُ إِلَى الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَنْاسٍ  
وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيِّهِ  
فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيهِ  
يَرُونَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيهِ

بعض القضاة أنفَ النزاهة :-

قَضَاةُ الدَّهْرِ قَدْ ضَلُّوا  
فَبَاعُوا الْبُيُوتَ بِالْأَسْوَاقِ  
سَمَاتِ الصَّدِيقِ فِي نَظَرِ الشَّافِعِيِّ :-

أَحَبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُوَاتِي  
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ  
فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ  
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ

الفرج من الله قريب :-

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْفَتَى  
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ خَلْقَاتُهَا  
ذَرَعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ  
فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ

ويقول في هذا الشأن:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرج  
من صدق الله لم ينلْه أذى  
الصمت حكمة -

قالوا سَكَتَ وَقَدْ خُوصِمْتَ قُلْتُ لَهُمْ  
وَالصَّمْتُ عَنْ جَاهِلٍ أَوْ أَحَقَّ شَرَفٌ  
أما ترى الأسد يُخشى وهي صامتة

نفور الشافعي من الأخلاق السيئة -

لَيْتَ الْكِلَابَ لَنَا كَأَنَّتْ مُجَاوِرَةً  
إِنَّ الْكِلَابَ لَتَهْدِي فِي مَوَاطِنِهَا  
فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَإِسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا

صحية الناس -

إِنِّي صَحِبْتُ النَّاسَ مَا لَهُمْ عَدَدُ  
لَمَّا بَلَوتُ أَخْلَاتِي وَجَدْتُهُمْ  
إِنْ غَبْتُ عَنْهُمْ فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتُمْنِي  
وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَهُمْ فَرَحِي

رد الشافعي على من يتمنى موته -

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمِتَ  
فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ

وَمَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِضَائِرِي  
لَعَلَّ الَّذِي يَرْجُو فَنَائِي وَيَدَّعِي  
عداوة الحساد -

وَلَا عِيشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِمُخْلَدِي  
بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِي

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى مُوَدَّتُهَا  
إِلَّا عِدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

فوائد السفر -

تَغْرَبُ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ  
تَفْرُجُ هَمٌّ وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ  
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

شوقه إلى مصر وبلاؤه -

لَقَدْ أَصْبَحْتُ نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى مِصْرٍ  
فَوَاللَّهِ لَا أَدْرِي أَلِلْفُوزِ وَالْغِنَى  
وَمِنْ دُونِهَا أَرْضُ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ  
أَسَاقُ إِلَيْهَا أَمْ أَسَاقُ إِلَى الْقَبْرِ

قال الشافعي: فخرج فقطع عليه الطريق فأخذ قطاع الطريق منه كل  
شيء فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا ثياب رديئة فدخل الناس وخرجوا  
ولم يلتفت إليه أحد، فقال:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَاعُ جَمِيعُهَا  
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا  
بِفَلْسٍ لَكَانَ الْفَلَسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرًا  
نُفُوسُ الْوَرَى كَأَنَّتْ أَجَلٌ وَأَكْبَرًا  
إذا كان غضباً حيث وجهته فري<sup>(١)</sup>

(١) إخلاق الغم: تمزقه وتهالكه. وعضباً: أي ماضياً قاطعاً. وفري: شق وقطع.

الدَّهْرُ يَوْمَانِ :-

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا أَمْنٍ وَذَا خَطَرٍ  
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ  
وَفِي السَّمَاءِ لُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا

الصديق الذي يقف معك في الشدائد :-

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ  
وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْرِ  
عَمَرْتُ الدَّهْرَ مُلْتَمِسًا بِجُهْدِي  
تَنَكَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا  
وَقَفَّةُ الْحَرِّ بَابٌ نَحْسٌ :-

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ  
وَقَرُّ بَرْدٍ وَقَوْدُ فَرْدٍ  
وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْدُ دُبٍّ  
وَتَفْحُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ  
وَبَيْعُ خُفٍّ وَعَدْمُ إِلْفٍ  
أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةِ الْحُرِّ

(١) وقَرُّ برد: شدة البرد. وقود فرد: أى قصاص.

(٢) أرض خرس: أى لا تنبت.

(٣) حبل قلنس: حبل سفينة

(٤) النوال: العطاء.

شكواه إلى وكيع :-

شَكُوتٌ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءَ حِفْظِي  
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نَوْرٌ  
قَفْ بِالْمَحْصَبِ :-

يَا رَاكِبًا قَفْ بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنَى  
سَحْرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مَنَى  
إِنْ كَانَ رَفَضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ  
بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ :

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أُنْسٍ  
مَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِنِّي  
لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ  
وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوبًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا  
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا  
وَكُنْ مَعِيَ طَوْلَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي  
حُبُّهُ لِلصَّالِحِينَ :

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ  
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي

فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي  
قَفْ بِالْمَحْصَبِ :-

وَاهْتَفِ بِقَاعِدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ  
فَيْضًا كَمُلْتَطِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ  
فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي  
بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ :

فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْغُلَسِ  
إِلَّا وَذَكَرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ  
بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدْسِ  
وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِي فِيهَا بِفِعْلِ مَسِي  
تَجْعَلُ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبْسٍ  
وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي غَبْسٍ

لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةَ  
وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مَحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَذَكَّرُ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ

فراصة الشافعي تعرف ما وراء سؤال السائل :

حدث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي، إذ جاءه رجل برقعة  
فنظر فيها وتبسّم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال: فقلنا يسأل الشافعي عن  
مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلاحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذا  
فيها:

سَلِ الْمُفْتَى الْمَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَضْمَةٍ مَشْتَقِ الْفَوَادِ جَنَاحُ  
و قال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:

أقول: معاذ الله أن يُذْهَبَ التُّقَى تَلَاصُقُ أَكْبَادُ بَيْنَ جَرَّاحُ  
قال الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت:  
يا أبا عبد الله تفتي بمثل ذلك شاباً؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد  
عرّس - أي تزوج ودخل - هذا الشهر يعني شهر رمضان وهو حدث السن.  
فسأل هل عليه جناح أن يُقْبَلَ أو يَضُمَّ من غير وطء؟ فأفتيته بهذه الفتيا. قال  
الربيع: فتبعْتُ الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي فما  
رأيت فراصة أحسن منها.

روى ياقوت الحموي فقال: بلغني أن رجلاً جاء الشافعي برقعة فيها:  
سَلِ الْمُفْتَى الْمَكِّيَّ مَنْ آلِ هَاشِمٍ إِذَا اشْتَدَّ وَجْدٌ بِأَمْرٍ مَاذَا يَصْنَعُ  
قال: فكتب الشافعي تحته:  
يَدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَيَخْضَعُ  
فَأَخَذَهَا صَاحِبُهَا وَذَهَبَ بِهَا، ثُمَّ جَاءَهُ وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي  
هُوَ الْجَوَابُ:

فَكَيْفَ يَدَاوِي وَالْهَوَى قَاتِلُ الْفَتَى وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُصَّةٌ يَتَجَرَّعُ  
فكتب الشافعي - رحمه الله -:  
فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى الْمَوْتِ أَنْفَعُ  
تَرْحُمَةُ عَلِيِّ أَبِي حَنِيْفَةٍ -

لَقَدْ زَانَ الْبِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَةٍ  
بِأَحْكَامٍ وَأَثَارٍ وَفَقْهِهِ كَأَيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَةِ  
فَمَا بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُ نُظَيْرٌ وَلَا بِالْمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَةٍ  
فَرَحْمَةُ رَبَّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفَتُهُ  
لَا مَقَامٌ فِي وَطَنِ يَضَامُ الْحَرْفِيهِ وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ  
أَرْحَلَ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَفِي التَّغْرُبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ  
فَالْعَنْبَرُ الْخَامُ رَوْتُ فِي مَوَاطِنِهِ فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرْمِيٌّ عَلَى الطَّرِيقِ  
لَمَّا تَغْرَبَ حَازَ الْفَضْلَ أَجْمَعَهُ فَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

## حلاوة تعقب العلم -

سَهْرِي لَتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْدُّ لِي  
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا  
وَأَلْدُّ مِنْ تَقْرِيرِ الْفَتَاةِ لِدَفْهَا  
وَتَمَائِلِي طَرْباً لِحُلِّ عَوِيصَةِ  
وَأَبَيْتُ سَهْرَانَ الدُّجَى وَكَبِيئُهُ

## العقل والمال ضدان -

لَوْ كَانَ بِالْحِيلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي  
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَا حُرِمَ الْغِنَى  
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِأَهْلِهِ أَمْرُؤُ  
وَمَنْ الدَّلِيلُ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ  
إِنَّ الَّذِي رُزِقَ الْيَسَارَ فَلَمْ يَنْلِ  
وَالْجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ

## الأحمق من الناس -

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ  
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ

(١) الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة.

(٢) الجد: هو الحظ.

## خُلِقَ النَّاسُ الْمَكْرَ وَالْمَلَقَ -

لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْمَلَقُ  
فَإِنْ دَعَتْ ضَرُورَاتُ لِعَشْرَتِهِمْ  
تَوَكَّلْهُ عَلَى اللَّهِ -

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي  
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي  
سَيِّئِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ  
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً  
مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظَفْرِكَ -

مَا حَكَ جِلْدَكَ مِثْلُ ظَفْرِكَ  
وَإِذَا قَصَصْتُ لِحَاجَةِ  
القناعة رأس الغنى -

رَأَيْتُ الْقَنَاعَةَ رَأْسُ الْغِنَى  
فَلَا ذَا يَرَانِي عَلَى بَابِهِ  
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهَمٍ

## الإخوان قلائل في النائبات -

صُنِ النَّفْسَ وَاجْهَلِهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا

(١) الملق: التضرع والتودد.

شَوْكَ إِذَا لَمَسُوا زَهْرًا إِذَا رَمَقُوا<sup>(١)</sup>  
فَكُنْ جَحِيمًا لَعَلَّ الشَّوْكَ يَحْتَرِقُ

وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي  
وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَامِقِ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ  
وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

فَقَوْلٌ أَنْتَ جَمِيعُ أَمْرِكَ  
فَاقْصِدْ لِمُعْتَرِفٍ بِقُدْرِكَ

فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتَمَسِّكٍ  
وَلَا ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكٍ  
أَمْرٌ عَلَى النَّاسِ شِبْهُ الْمَلِكِ

تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلٌ

وَلَا تَوَلِّينَ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا  
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ  
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَلَوِّنٍ  
وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تُعَدُّهُمْ  
اسْتَغْنِ بِاللَّهِ -

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلَّوْا  
مَاذَا تُؤْمَلُ مِنْ قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا  
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ كَرَمًا  
طَرِيقُ الْمَعَالِي غَيْرُ مَعْبُودٍ -

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي  
وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ  
تَرْوُمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا  
الْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِ -

أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ السَّافِيهِ  
فَمَا ضَرَّ بِحَرِّ الْفُرَاتِ يَوْمًا  
الزَّمَنُ يُوَدِّبُ -

كُلَّمَا أَذْبَنِي الدَّهْرُ  
وَإِذَا مَا إِزْدَدْتُ عِلْمًا

بَا بَكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ  
عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ  
إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ تَمِيلُ  
وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَبْوَابِهِمْ ظِلُّ  
جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلَّوْا  
إِنَّ الْوَقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلُّ

وَمَنْ طَلَبَ الْعِلَا سَهْرَ اللَّيَالِي  
أَضَاعَ الْعَمَرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ  
يَغُوصُ الْبَحْرَ مِنْ طَلَبِ السَّلَالِي

فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ  
أَنْ خَاضَ بَعْضُ الْكِلَابِ فِيهِ

رَأَيْتُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي  
زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي

عَيْنُ الرِّضَا كَلِيلَةٌ -

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ  
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي  
فَإِنْ تَدُنْ مِنِّي تَدُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي  
كَأَنَّا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ

لَا تَنْتَثِرِ الْعِلْمَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْرِفُهُ  
سَأَلْتُكُمْ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَافَقِي  
فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ  
بَشَتْ مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ

هَاتَكَ حُرْمَ الرِّجَالِ -

يَا هَاتَكَ حُرْمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعَا  
لَوْ كُنْتُ حُرًّا مِنْ سُلَالَةٍ مَاجِدٍ  
مَنْ يَزِنُ يُزَنُ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ

الشَّافِعِيُّ يَجْعَلُ الرَّجَاءَ سُلْمًا لِعَفْوِ اللَّهِ -

وَلَكِنْ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا  
وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا  
وَإِنْ تَنَا عَنِّي تَلَقَّنِي عَنْكَ نَائِيَا  
وَلَحْنُ إِذَا مَتَنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

وَلَا أَثَرُ الدُّرِّ النَّفِيسَ عَلَى الْقَنَمِ  
وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحَكَمِ  
وَالَا فَمَخْزُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَسَمٌ

سَبَّلَ الْمَوَدَّةَ عَشْتِ غَيْرِ مُكَرَّمِ  
مَا كُنْتُ هَتَاكَ لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ  
إِنْ كُنْتُ يَا هَذَا لَبِيًّا فَافْهَمِ

يقول المازني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت:  
كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً ولكأس  
المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى  
الجنة أم إلى النار؟ ثم بكى، وأنشأ يقول:

إليك إله الخلق أرفع رغبتى  
ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي  
تعاظمني ذنبي فلما قرئته  
فما زلت ذا غفور عن الذنب لم تزل  
فلولاك لم يصمد إبليس عابدا  
فيا ليت شعري هل أصير لجنة  
فلله در العارف النذب إنه  
يقيم إذا ما الليل مد ظلامه  
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه  
ويذكر أياماً مضت من شبابه  
فصار قرين هم طول نهاره  
يقول حبي أنت سؤلي وبغيتي  
ألسيت الذي غديتني وهديتني  
عسى من له الإحسان يغفر زلي

وإن كنت يا ذا المن والجود مجرماً  
جعلت الرجا مني لغفوك سلماً  
بغفوك ربّي كان عفوك أعظماً  
تجود وتغفو منة وتكرماً  
فكيف وقد أغوى صفيك آدماء  
أهنا وإما للسّعير فأنلماً  
تفيض لفرط الوجد أجفائه دماً  
على نفسه من شدة الخوف مائماً  
وفي ما سواه في الوري كان أعجماً  
وما كان فيها بالجهالة أجراً  
أخا السهد والتجوى إذا الليل أظلماً  
كفى بك للراجين سؤلاً ومنعماً  
ولا زلت متاناً علي ومنعماً  
ويستر أوزاري وما قد تقدماً<sup>(١)</sup>

## الإمام

أحمد بن حنبل

رضي الله عنه

(١) كل هذا الشعر من ديوانه الذي نوهت به في أول الحديث عن الجولة.

## الإمام أحمد بن حنبل

يقول: صاحب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ومنهم الإمام الميِّجل  
والهمام المفضل أبو عبد الله أحمد بن حنبل. لزم الاقتداء، وظفر بالاهتداء علم  
الزهاد، وقلم النقاد، امتحن فكان في المحنة صبوراً، واجتنب فكان للنعمة  
شكوراً، كان للعلم والحلم واعياً، وللهم والفكر راعياً.  
و قيل : إن التصوف التجلي بالآثار، والتحلي بالأكدار<sup>(١)</sup>.

### • نسبه ومولده :

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد  
الله ابن حيَّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن  
ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن  
هنب ابن أفضى بن دهمى بن جذيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان  
الشييباني أبو عبد الله<sup>(٢)</sup>.

خرجت به أمه من مَرُو حَمَلاً وولد ببغداد ونشأ بها ومات بها.

### • تاريخ ميلاده :

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي ولدت سنة أربع وستين  
ومائة في شهر ربيع الأول<sup>(٣)</sup>.  
و توفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فوليته أمه بعد وفاة أبيه<sup>(٤)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٦١.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٢ ص ٩٦.

(٣) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٦٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٣.

## ● طلبه للحديث :

قال أبو الفضل: قال أبي: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة وسمعت من هشيم وأول سماع منه سنة تسع وسبعين ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة<sup>(١)</sup> وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة وهي آخر قدمه فذهبت إلى مجلسه فقالوا: قد خرج إلى طرسوس وتوفي سنة إحدى وثمانين<sup>(٢)</sup>.

## ● رحلاته في طلب العلم :

رحل الإمام أحمد إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة طلباً للعلم وأخذ العلم من علماء هذه البلاد.

## ● شيوخ الإمام أحمد بن حنبل :

سمع من سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد ويحيى بن سعيد القطان وهشيم بن بشير ومعتمر بن سليمان وإسماعيل بن عُلَيَّة ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي وخلق كثيرون وفهل من علم الشافعي.

## ● تلاميذه :

روى عنه عبد الرزاق بن همام ويحيى بن آدم وأبو الوليد : هشام بن عبد الملك الطيالسي وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - أخذ عن الإمام أحمد الحديث - والأسود بن عامر شاذان والبخاري ومسلم وأبو داود وأكثر عنه في كتاب السنن وروى الترمذي عن أحمد بن الحسن الترمذي عن أحمد بن

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

حنبل، وروى النسائي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عنه وعن محمد بن عبد الله عنه وغيرهم<sup>(١)</sup>.

## ● أقوال العلماء في الإمام أحمد

١- أبو داود السجستاني :

حدثنا أحمد بن محمد القاضي قال: سمعت أبا داود السجستاني يقول: لقيت مائتين من مشايخ العلم فما رأيت مثل أحمد بن حنبل لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم.

٢- يحيى الشامي :

قال: ما رأيت أحداً أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل ورأيت سفيان بن عيينة ووكيعاً وعبد الرزاق وبقية بن الوليد وضمرة بن ربيعة وكثيراً من العلماء فما رأيت مثل أحمد بن حنبل في علمه وفقهه وزهده وورعه<sup>(٢)</sup>.

٢- أبو عاصم الضحاك بن مخلد :

عن أبي عبد الرحمن بن أحمد قال: حضر قوم من أصحاب الحديث أبا عاصم الضحاك بن مخلد فقال لهم: ألا تتفقّهون وليس فيكم فقيه؟ وجعل يذمهم، فقالوا: فينا رجل. فقال: من هو؟ فقلنا: الساعة يحيى، فلما جاء أبي قالوا: قد جاء فنظر إليه، فقال له: تقدّم، فقال: أكره أن أخطئ الناس، فقال أبو عاصم: هذا من فقهه وأخذه، فقال: وسعوا له، فوسعوا فدخل فأجلسه بين

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٩٧.

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٦٤، ١٦٥.

يديه فألقى إليه مسألة، فأجاب، وألقى ثانية، فأجاب، وثالثة فأجاب، ومسائل فأجاب، فقال أبو عاصم هذا من دواب البحر.

٤- محمد بن الفضل بن العباس البلخي :

قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري ومالك والأوزاعي والليث بن سعد لكان هو المقدم.

٥- سعيد بن الخليل الخزار :

قال: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان آية.

٦- أبو العباس أحمد بن إبراهيم الصوفي :

قال: قال لي رجل من أهل العلم وكان حبراً فاضلاً يكنى بأبي جعفر في العشية التي دفنا فيها أبا عبد الله: تدرى من دفنا اليوم؟ قلت: مَنْ؟ قال: سادس خمسة، قلت: من؟ قال: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل. قال أبو العباس: فاستحسننت ذلك منه وعنى بذلك أن كل واحد في زمنه.

٧- سفيان بن عيينة :

ذكر أبو عبد الله أحمد بن حنبل عند الحارث بن أسد، قال الفتح: فقلت للحارث: سمعت عبد الرزاق يقول: سمعت ابن عيينة يقول: علماء الأزمنة ثلاثة: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه، قال الفتح: فقلت أنا للحارث: وابن حنبل في زمانه، فقال لي الحارث: أحمد بن حنبل نزل به ما لم يترل بسفيان الثوري والأوزاعي.

٨- الهيثم بن حنبل:

قال: إن لكل زمان رجلاً يكون حجة على الخلق، وإن فضيل بن عياض حجة أهل زمانه، قال الهيثم: وأظن إن عاش هذا الفتى أحمد بن حنبل سيكون حجة على أهل زمانه.

٩- قتيبة بن سعيد :

قال بموت أحمد بن حنبل تظهر البدع ويموت الشافعي ماتت السنن ويموت الثوري مات الورع.

١٠- يحيى بن معين:

ذكر أحمد بن حنبل عنده: فقال: أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل: لا والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد بن حنبل ولا على طريقة أحمد.

١١- الإمام الشافعي:

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: يا أبا عبد الله، أنت أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً، قال عبد الله: جميع ما حدث به الشافعي في كتابه: فقال: حدثني الثقة أو أخبرني الثقة فهو أبي - رحمه الله - (١).

(١) المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٧٠.

## • الإمام أحمد يتحرى الحلال فى الطعام والشراب والسلوك:

كان الرجل يسيطر عليه الخوف من الجليل فكان فى مجاهدة مع نفسه وغرائزه واحتياجاته الجسدية.

## • أدب فى الطفولة:

عن أبى بكر المروزي قال: قال لى أبو عفيف وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال: : كان فى الكتاب معنا وهو غليم يُعرف فضله وكان الخليفة بالركة فيكتب الناس إلى منازلهم فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم فيبعثه، فكان يجيء إليهم مطأطي الرأس فيكتب جواب كتبهم فرموا أملوا عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهم.

وظل هذا الأدب ملازماً لم يفارقه فعن إدريس بن عبد الكريم قال: قال خلف: جاءنى أحمد بن حنبل يستمع حديث أبى عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه<sup>(١)</sup>.

## • حفظ الإمام أحمد للحديث وعلمه:

عن أبى زرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقليل له وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

و قال أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: قيل لأبى زرعة من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال أحمد بن حنبل: حُزرتُ كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً. ما كان على ظهر

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٣٦ ، ٥٣٧.

كتاب منها حديث فلان ولا فى بطنه حديث فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه.

وعن إبراهيم الحربي قال: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء.

قال ابن الجوزي: قلت: كان مخايل النجابة تظهر من أحمد بن حنبل من زمان الصبا، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعمله به متوقفاً فلذلك كان مشايخه يعظمونه فكان إسماعيل بن علية يقدمه وقت الصلاة يصلى بهم، وضحك أصحابه يوماً فقال: أتضحكون وعندى أحمد بن حنبل؟

وكان ابن مهدي يقول: ما نظرت إليه - أى أحمد بن حنبل - إلا ذكرت سفيان الثوري ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً فى بطن أمه<sup>(١)</sup>.

## • نهيه النساء عن الأمور التى تلفت الرجال إليهن:

عن أحمد بن عتبة قال: لما ماتت أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمى فاخطبها لى من نفسها، قال: فأتتها فأجابته. فلما رجعت إليه، قالت: كانت أختها تسمع كلامك؟ قال: وكانت بعين واحدة؟ قالت له: نعم. قال: فاذهبي، فاخطبى تلك التى بعين واحدة فأجابتها وهى أم عبد الله. فأقام معها سبعا، ثم قالت له: كيف رأيت يا ابن عم أنكرت شيئا؟ قال: لا إلا أن نعلك هذه تُصر - يصدر منها صوت -<sup>(٢)</sup>.

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٨.

## • زهد الإمام وعيشة التقشف :

عاش الإمام أحمد في ظل الشظف وخشونة العيش ورقة الحال وفي ظلال هذه السحب القائمة سكنت قلبه القناعة، وهتفت روحه بالرضا، وعزفت نفسه عن الناس وعن دنياهم، فعزت نفسه وسمت وكأنها حلفت وتبوات مكانها بين النجوم في عليائها وهذا هو الغنى الحقيقي: وهذه صور مضيئة في حياة ابن حنبل هي مصابيح للزاهدين:

١- عن الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه فقال: قدم وبلغني أن نقته نفدت فأخذت عشرة دنائير وأقمته خلف الباب وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنائير فخذها فأرجو ألا تنفقها حتى يتهيا عندنا شيء، فتبسم وقال لي: يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك. ولم يقبل.

٢- وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: جاءني حسن - الأمة - فقالت: يا مولاي قد جاء رجل بتليسة فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب، قال صالح: فقلت فقرأت الكتاب فإذا فيه: يا أبا عبد الله: أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا ورددتها فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك، وهي أربعة آلاف درهم وفاكهة أنا لقطتها من بستان ورثته عن أبي وأبي ورثته عن أبيه.

قال: فجمعت الصبيان فلما دخل أبي دخلنا عليه فبكيت وقلت له: يا أبة أما ترق لي من أكل الزكاة؟ ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت فقال: من أين علمت؟ دغ. حتى استخير الله تعالى الليلة، قال: فلما كان من الغد قال: يا صالح: إني قد استخرت الله تعالى الليلة فعزم لي ألا آخذها، وفتح

التليسة ففرقها على الصبيان وكان عنده ثوب عشاري فبعث به إليه ورد المال، قال: صالح: فبلغني أن الرجل اتخذه كفنًا.

٣- وعن رحيلة قال: كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مجاف وأم ولده تكلمه وتقول له: إنا معك في ضيق. مترل صالح يأكلون ويفعلون، وهو يقول: قولي: خيراً، وخرج الصبي معه فبكي فقال له: أي شيء تريد؟ قال: زبيب. قال اذهب فخذ من البقال حبة.

٤- وعن أبي بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنما أيام قلائل، وقال: سمعت أبا عبد الله يقول: أسر أيامي إلى يوم أصبح وليس عندي شيء.

٥- وعن صالح بن أحمد قال: ربما رأيت أبي يأخذ الكسر فينفض الغبار عنها ثم يصيرها في قصعة ثم يصب عليها ماءً حتى تبتل ثم يأكلها بالملح وما رأيته قط اشترى رماناً ولا سفرجلًا ولا شيئاً من الفاكهة إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز أو عنباً أو تمرًا فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه وربما خبز له فيجعل في فخارة عدساً وشحمًا وتمرًا شهريز فيخص الصبيان بقصعة فيصوت ببعضهم فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون، وكان كثيراً ما يأتدُم بالخل وكان يشتري له شحم بدرهم فكان يأكل منه شهراً، فلما قدم من عند المتوكل أدمن الصوم وجعل لا يأكل الدسم، فتوهمت أنه كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

٦- وعن النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم قال: قال لي الأمير إذا جاء إفطاره - أي إفطار أحمد وهو في السجن - أرنه. قال: فجاءوا

برغيفين خبز وخيارة فأريته الأمير فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

٧- وعن المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قد وجدت البرد في أطرافي ما أراه إلا من إدماني أكل الخل والملح<sup>(١)</sup>.

٨- قال علي بن المديني: دخلت منزل أحمد بن حنبل فما بيته إلا بما وصف به بيت سويد بن غفلة من زهده وتواضعه.

٩- قال موسى بن هارون سمعت إسحاق بن راهويه يقول: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً.

١٠- يقول أحمد بن سليمان الواسطي: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دارهم صالحة فلم يقبلها منه.

١١- يقول إبراهيم السمرقندي، سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل، قلت: هو إمام؟ قال: إى والله وكما يكون الإمام. إن أحمد بن حنبل: أخذ بقلوب الناس، إن أحمد صبر على الفقر سبعين سنة.

١٢- حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني علي بن الجهم بن بدر قال: كان لنا جار فأخرج إلينا كتاباً فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم. هذا خط أحمد بن حنبل، فقلنا له: كيف كتب ذلك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة فقصداً أحمد بن حنبل أياماً فلم نره، ثم

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٣٩ - ٥٤٢.

جئنا إليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه والباب مردود عليه، وإذا عليه خلقان، فقلنا له: يا أبا عبد الله ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؟ فقال: سُرقت ثيابي. فقلت له: معي دينار فإن شئت خذ قرصاً. وإن شئت صلة، فأبى أن يفعل، فقلت: تكتب لي بأخذه؟ قال: نعم، فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه وقال: اشتر لي ثوباً واقطعه بنصفين، فأومأ أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر، وقال: جئني بقيته، ففعلت وجئت بورق وكاغد فكتب لي فهذا خطه.

١٣- يقول أحمد بن محمد التستري: ذكروا أنه مر على أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ما كان طعم فيها. فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام، فخبزوا بالعجلة فلما وضع بين يديه قال: كيف عملتم؟ خبزتم بسرعة هذا؟ فقليل له: كان التنور في دار صالح - ابنه - مُسَجَّراً وخبزنا بالعجلة، فقال: ارفعوا ولم يأكل فأمر بسد بابه إلى دار صالح<sup>(١)</sup>.

#### ● تحرى الإمام أحمد الحلال وتركه ما فيه شبهة:

كان ~~يتردد~~ يتحرى الحلال في شئونه كلها فإذا لاحت شبهة ترك الحلال من أجلها.

ورد عن سليمان بن داود الشاذكوني أن أحمد رهن سطلاً عند قامى<sup>(٢)</sup> فأخذ منه شيئاً يتقوته، فجاء فأعطاه فكأكه فأخرج إليه سطلين. فقال: انظر أيهما سطلك؟ فخذ، قال أحمد بن حنبل: لا أدري. أنت في حل منه ومما

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٧٤ - ١٧٧.

(٢) القامى: بائع الحمص.

أعطيتك، ولم يأخذه، قال القامى: والله إنه لسطله وإنما أردت أن أمتحنه فيه<sup>(١)</sup>. أليس هذا هو الورع بعينه؟

وحدثنا أبو حفص عمر بن صالح الطرسوسى قال: ذهبت أنا ويحيى الجلاء - وكان يقال إنه من الأبدال - إلى أبي عبد الله فسألته وكان إلى جنبه بوران وزهير وهارون الجمال فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فأبصر إلى أصحابه فغمزهم بعينه ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا بني بأكل الحلال. فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له: يا أبا نصر بم تلين القلوب؟ قال: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله. فقال: هيه إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل. فمررت إلى عبد الوهاب ابن أبي الحسن. فقلت: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب» قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله. فاحمرت وجنتاه من الفرح. وقال لى: إيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال بأكل الحلال. فقال جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر الأصل كما قال، الأصل كما قال<sup>(٢)</sup>.

و عن شاكر بن جعفر قال: سمعت ابن محمد بن يعقوب يقول: جاءه يوماً رسول من دار أحمد بن حنبل يذكر له أن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد فناول رجلاً من أصحابه قطعة وقال: إشتري له بها زبداً، فجاء به على ورق سلق فلما نظر الإمام أحمد إليه قال: من أين هذا الورق، قال: أخذته من

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٢.

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٨٢.

عند البقال، فقال: استأذنته في ذلك؟ قال: لا، قال: رده<sup>(١)</sup>.

#### • عبادة الإمام أحمد بن حنبل:

مما لا مرأى فيه أن الإبحار في المحيط بسفينة عظيمة مزودة بالأزودة المختلفة يقودها ربانٌ ماهر خبير بقيادة سفينته إبان هبوب الأعاصير وارتفاع الأمواج وحلول إظلام السحب، ويعرف الموانئ ويعرف كيف يدخل المرفأ من أقصر الطرق. كذلك العالم الحاذق يعرف الطريق إلى الله ويجيد السير في دروب التقوى والعبادة فهذا هو الإمام أحمد العالم الذى حفظ ألف ألف حديث وكان عالماً فلا شك أنه كما حذق العلم فقد عرف طريق الوصول إلى الله تعالى. وعن عبادته:

يقول عبد الله بن أحمد: كان أبى يقرأ فى كل يوم سبعاً يختم فى كل سبعة أيام وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو.

و عن عبد الله بن أحمد قال: كان أبى يصلى فى كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وكان قرب الثمانين<sup>(٢)</sup>.

#### • عبادته فى الركن الخامس من أركان الإسلام:

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: خرج أبى إلى طرسوس ماشياً وخرج إلى اليمن ماشياً وحجَّ خمس مرات ثلاثة منها ماشياً ولا يمكن لأحد أن يقول:

(١) المرجع السابق ص ١٨١.

(٢) المرجع السابق ص ١٨١.

إنه رأى أبي في هذه التواحي يوماً إلا إذا خرج إلى الجمعة وكان أصبر الناس على الوحدة، وبشر الحافي - رحمه الله - فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة فكان يخرج إلى ذا ساعة وإلى ذا ساعة<sup>(١)</sup>.

#### • المجوس يطمنون إلى فقه الإمام أحمد:

كان المجوس يطمنون إلى علم الإمام أحمد ورسخ في أذهانهم أن هذا الرجل لا يقول إلا الحق وساعد على رسوخ ذلك خوفه من الله وورعه والزهد في دنيا الناس:

فعن نوح بن حبيب قال: كان عندنا يعنى في بلدهم: امرأتان مجوسيتان فاختصمتا في مواريث لهما إلى رجل من المسلمين فقضى لواحدة منهما على الأخرى، فقالت له: إن كنت قضيت عليّ بقضاء أحمد بن حنبل رضيت، وإلا فإني لا أرضى، قال: نوح: فحدثت به أهل طرسوس والشامات<sup>(٢)</sup>.

#### • بلاء أحمد بن حنبل:

عهدنا على الأمة الإسلامية أن عظماءها يُبتلون والبلاء داخل الأمة ومن أفرادها المسلمين. وعلى مدى تاريخ هذه الأمة نجد البلاء مركز هبويه من الأمة الإسلامية ومن الحكومات التي تحكم هذه الأمة. والإمام أحمد واحد من الذين صُبَّ عليهم البلاء صَبًّا، وقبل أن يأتى ميقات بلاء الإمام فلقد رأى الإمام الشافعي رؤيا للإمام أحمد بن حنبل:

قال الربيع: كتب الشافعي من مصر إلى أحمد بن حنبل كتاباً فلما قرأ

(١) المرجع السابق ص ١٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٣.

أحمد الكتاب بكى فسأله عن ذلك فقال: إنه يذكر أنه رأى النبي ﷺ، وقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه مني السلام وقل له إنك ستمتحن على القول بخلق القرآن فلا تجبههم نرفع لك علماً إلى يوم القيامة، قال الربيع: فقلت له البشارة فخلع عليّ قميصه وأخذت جوابه فلما قدمت على الشافعي وأخبرته بالقميص قال: لا نفجعك به ولكن بلِّه وادفع إلى ماءه حتى أكون لك شريكاً فيه<sup>(١)</sup>.

#### • حديث موجز عن فقه الفتنة والبلاء:

برزت على الساحة الفكرية للأمة الإسلامية طوائف عقائدية: الخوارج والمرجئة والشيعة والمعتزلة وغيرها وعند المعتزلة أن القرآن كلام الله مخلوق. وهذا مغالطة في الفكر ومخالفة للنصوص وترك العقل يصول ويجول ولا مجال للعقل مع الأصول والنصوص وإن دافع عنهم كثير من الناس وقالوا إنهم يريدون حروف المصحف ولا يريدون معانيه ولا مدلولات حروفه وهذا أيضاً يجب أن لا يُجعل ميداناً للبحث ولا للنقاش حتى لا يُفتح باب الفتن. فالقرآن كلام الله وهو قديم غير مخلوق، وبهذا قال الإمام أحمد. وحين تغلغل المذهب الاعتزالي إلى الحكم وحمل الأمراء المسلمون الناس وقبضوا على الإمام أحمد ليُقسروه على قول المعتزلة بأن القرآن كلام الله مخلوق فعذبوه وأودعوه السجن وضرب بالسياط ولكنه لم ينطق بفكرهم. ومع هذا لا يجوز لأحد أن يخرج المعتزلة من دائرة الإسلام.

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ٩٨.

## • أيام البلاء والامتحان في حياة الإمام أحمد :

قال صالح بن أحمد بن حنبل: ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع إلى الحبس فأجاب القوم جميعاً غير أربعة: أبي. ومحمد بن نوح وعبيد الله بن عمر القواريري والحسن بن حماد ثم أجاب عبيد الله بن عمر والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أياماً في الحبس ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملنا فحمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين زميلين وأخرجنا من بغداد فسرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال: يا أبا عبد الله إن عرّضت على السيف تجيب؟ فقال: لا .

قال أبي: فانطلق بنا حتى نزلنا الرحبة، فلما رحلنا منها - وذلك في جوف الليل - وخرجنا من الرحبة عرض لنا رجل، فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقبل له: هذا، فسلم على أبي ثم قال له: يا هذا ما عليك أن تقتلها هنا وتدخل الجنة هنا . ثم سلم وانصرف. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشجر في البادية يقال له: جابر بن عامر فلما صرنا إلى أذكرة ورحلنا منها - وذلك في جوف الليل - فتح لنا بابها فلقينا رجل ونحن خارجون من الباب، وهو داخل فقال: البشري، قد مات الرجل قال: أبي. وكنت أدعو الله أن لا أراه. قال: أبو الفضل صالح. فصار أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس، وجاء - يعني المأمون - من اليزيديون ورفدوا في أقيادهم إلى الرقة في سفينة مع قوم محبسين، فلما صاروا بعمان وهو مقيد فمكث - بالياسرية - بلد - أياماً ثم صير إلى الحبس في دار اكتريت له عند دار عمارة ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية فمكث في السجن منذ

أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً. قال: أبي، فكنت أصلي بهم وأنا معه وكنت أرى بوران يحمل له في زورق ماء بارداً به إلى السجن<sup>(١)</sup>.

و يقول أيضاً أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل قال أبي: لما كان في شهر رمضان لليلة سبع عشرة خلت منه حوّلت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم وأنا مقيد بقيد واحد. يوجه إلى في كل يوم رجلان سماًهما أبي، قال أبو الفضل وهما أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجاج يكلماني وينظراني فإذا أراد الانصراف دعوا بقيد فقيدت به. فمكثت على هذه الحال ثلاثة أيام فصار في رجلى أربعة أقياد فقال لي أحدهما في بعض الأيام في كلام دار بيننا وسألته عن علم الله فقال: علم الله مخلوق. فقلت له: يا كافر كفرت<sup>(٢)</sup>.

وظل ينتقل من سجن إلى سجن وظلت مرارة هذه الأيام في حلقوم أحمد بن حنبل، وكان يضرب بالسياط حتى يقول بخلق القرآن ولكنه أبي.

## • ضرب الإمام أحمد بالسياط :

فعن ميمون بن الأصيغ قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن فدخلت فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» فضرب تسعة وعشرين سوطاً<sup>(٣)</sup>.

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٧.

(٣) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٣ - ٥٤٤.

لجوء الإمام إلى الله وقت الضرب .

يقول ميمون: وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فترل السراويل إلى عانته فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرّك شفّتيه فما كان بأسرع أن بقى السراويل لم يترل، فدخلت إليه بعد مدة أيام فقلت يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفّتيك فأى شيء قلت؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترأ<sup>(١)</sup>.

الأم ضرب السياط .

عن محمد بن إسماعيل بن أبي سميئة قال: سمعت شاباص النائب يقول: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلا لهدّته<sup>(٢)</sup>.

بعض المخلصين يشدون من أزرا بن حنبل .

لقد ذكرنا آنفاً بعض الذين آزرُوا الإمام أحمد ونذكر هنا البعض الآخر:

١ - حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبد الله بن أحمد قال: كتب إلى أبو نصر الفتح بن شخرف بخط يده قال: قال أبو حطيظ - رجل قد سماه من أهل الفضل من أهل خراسان . قال: حبس أحمد بن حنبل وبعض أصحابه فى الخنعة، قبل أن يضرب . قال: أحمد بن حنبل لما كان الليل نام من كان معى من أصحابى وأنا متفكر فى أمرى. فإذا أنا برجل طويل يتخطى الناس حتى دنا منى فقال: أنت أحمد بن حنبل ؟ فسكتُ. فقالها ثانية، فسكتُ، فقال فى الثالثة: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل ؟ قلت: نعم، قال: اصبر ولك الجنة، قال

(١) المرجع السابق ص ٥٤٤.

(٢) المرجع السابق.

أبو عبد الله : فلما مسنى حرُّ السوط ذكرت قول الرجل<sup>(١)</sup>.

٢ - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل كنت كثيراً أسمع والسدي يقول : رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم . فقلت : يا أبت من أبو الهيثم ؟ فقال : لما أخرجت للسياط ومدت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لى : تعرفنى ؟ قلت لا . قال : أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار، مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين أنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا. فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين . قال : فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً وخرج الخادم فقال : عفا عنه أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

٣ - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل : إن رجعت عن مقالتك ارتددنا عن الإسلام<sup>(٣)</sup> ولم يتراجع.

#### • عفو الإمام أحمد عن أمير المؤمنين المعتصم :

علم الإمام أحمد أن المعتصم فتح بابك أو فتح عمورية ففرح بالمد الإسلامى وأدرك أن رقعة الإسلام زادت على الكرة الأرضية فعفا عن المعتصم.

عن أحمد بن سنان قال: بلغنى أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم فى حلّ فى يوم فتح بابك أو فى فتح عمورية فقال : هو فى حل من ضربى .

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٩٣.

(٢) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٤.

(٣) المرجع السابق.

و قال إبراهيم الحربي : أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم، وقال: لولا أن ابن أبي داود داعية لأحلتته .

#### • صور من تعذيب الإمام أحمد :

خرج الإمام أحمد من السجن دون أن يأخذوا منه ما يريدونه من قول أو شهادة كالذهب إذا أدخل النار فزادته المحنة يقيناً .

فعن النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم : قال لي الأمير : إذا جاء إفطاره - أي إفطار الإمام - أرنيه . قال فجاءوا برغيفين خبز وخيارة . فأريته الأمير فقال : هذا لا يجيئنا إذا كان هذا يقتعه<sup>(١)</sup> .

وحتى بعد عودته كان متأثراً بعذاب السجن ومع هذا لم يقل إلا الحق وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق :

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل : مكث أبي بالعسكر ستة عشر يوماً ما ذاق إلا مقدار ربع سويق<sup>(٢)</sup> كل ليلة كان يشرب شربة ماء وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ورأيت موقيه دخلتا في حدقتيه .

ومع هذا العذاب لم يأخذوا ما يريدون يروى الإمام أحمد فيقول : وجاء ابن أبي دؤاد فقال : إنه قد حلف - أي الأمير - أن يضربك ضرباً وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس . فقلت له : فما أصنع؟ حتى إذا كدت أن أصبح قلت لخليق أن يحدث في هذا اليوم من أمرى شيء وقد كنت

(١) المراجع السابق .

(٢) طعام يتخذ مدقوق الحنطة والشعير .

(١) المرجع السابق .  
(٢) طعام يتخذ مدقوق الحنطة والشعير .

خرجت من سراويلي فشددت بها الأقياد أحملها بها إذا توجهت إليه فقلت لبعض من كان معي الموكل بي أريد لي خيطاً، فجاءني بخيط فشددت به الأقياد وأعدت التكة في سراويلي ولبستها كراهية أن يحدث شيء من أمرى فأتعري . فلما كان في اليوم الثالث أدخلت عليه والقوم حضور فجعلت أدخل من دار إلى دار وقوم معهم السيوف وقوم معهم السياط وغير ذلك من الزى والسلاح . وقد حُشيت الدار بالجند ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء حتى إذا صرت إليه قال : ناظروه وكلموه فعادوا لمثل مناظرهم فدار بيننا وبينهم كلام كثير حتى إذا كان في الوقت الذي كان يخلو بي فجاءني ثم اجتمعوا فشاورهم ثم نحاهم ودعاني فخلاني وبعد الرحمن فقال لي : ويحك يا أحمد أنا والله عليك شفيق وإني لأشفق عليك مثل شفقتي على هارون ابني فأجبنى : فقلت : يا أمير المؤمنين : أعطوني شيئاً من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله ﷺ ، فلما ضجر وطال المجلس قال : عليك لعنة الله ، لقد طمعت فيك . خذوه : اخلعوه : اسحبوه : قال : فأخذت فسحبت ثم خلعت ثم قال : العقابين السياط فجاء بعقابين والسياط . قال : أبي - الكلام لعبد الله بن أحمد - وقد كان صار إلى شعرتان من شعر النبي ﷺ فصررتهما في كم قميصي فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصرة في كم قميصي فوجه إلى ما هذا المصروع في كمك؟ فقلت : شعر من شعر النبي ﷺ . فسعى بعض القوم إلى القميص ليحرقه في وقت ما أقمت بين العقابين فقال لهم : لا تحرقوه وانزعوه عنه ، قال أبي : فظننت أنه بسبب الشعر الذي كان فيه . ثم صيرت بين العقابين وشدت يدي وجيء بكرسي فوضع له وابن أبي دؤاد قائم على رأسه والناس اجتمعوا وهم قيام ممن

حضر فقال لي إنسان ممن شدني خذ أي الخشبين بيدك وشد عليها . فلم أفهم ما قال . قال : فتخلعت يدي لما شدت ولم أمسك الخشبين قال أبو الفضل : ولم يزل أبي - رحمه الله - يتوجع منها من الرُسخ إلى أن توفي ثم قال للجلادين : تقدموا . فنظر إلى السياط فقال : انتوا بغيرها . ثم قال لهم : تقدموا . فقال لأحدهم : أدنه أوجع . قطع الله يدك - إني إذا لم توجع - فتقدم فضربني سوطين . ثم تنحى فلم يزل يدعو واحداً واحداً فيضربني سوطين ويتنحى ثم قام حتى جاءني وهم مُحذقون به فقال : ويحك يا أحمد تقتل نفسك؟ ويحك أجبن حتى أطلق عنك يدي . قال : فجعل بعضهم يقول ويحك : إمامك على رأسك قائم . قال وجعل يعجب وينخسني بقائم سيفه ويقول تريد أن تغلب هؤلاء كلهم ، وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول : ويلك الخليفة على رأسك قائم ، قال : ثم يقول بعضهم يا أمير المؤمنين دمه في عنقي . قال : رجع فجلس على الكرسي ، ثم قال للجلاد : أدنه شد . قطع الله يدك ، ثم لم يزل يدعو بجلاد بعد جلاد فيضربني سوطين ويتنحى وهو يقول له شد . قطع الله يدك . ثم قام لي الثانية فجعل يقول : يا أحمد : أجبن . وجعل عبد الرحمن بن إسحاق يقول : لي من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت؟ هذا يحيى بن معين وهذا أبو خيثمة وجعل يعدد عليّ مَنْ أجاب وجعل هو يقول : ويحك أجبن . قال : فجعلت أقول نحواً مما كنت أقول لهم . قال : فرجع فجلس ثم جعل يقول للجلاد : شد . قطع الله يدك . قال أبي فذهب عقلي . وما عقلت إلا وأنا في حجرة طلق عني الأقياد . فقال إنسان ممن حضر : إنا كبيناك على وجهك وطرحنا على ظهرك سارية ودسناك فقال أبي ما شعرت بذلك . قال : فجاءوني

بسويق فقالوا لي : اشرب وتقياً فقلت : لا أفطر ثم جىء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم . قال أبي فنودي بصلاة الظهر . فصلينا الظهر قال : ابن سماعة : صليت والدم يسيل : مَنْ ضربك ؟ فقلت : قد صلى عمر وجرحه يشعب دماً فسكت . ثم خلى عنه ووجه إليه برجل ممن يُبصر الضرب والجراحات ليعالج فيها . فنظر إليه فقال لنا : والله لقد رأيت مَنْ ضرب الفُ سوط ما رأيت ضرباً أشدَّ من هذا . لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات وقال : لم يشعب فجعل يأتيه ويعالجه وقد كان أصاب وجهه غير ضربة ثم مكث يعالجه ما شاء الله ، ثم قال : عن ها هنا شيئاً أريد أن أقطعه فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه وأحمد بن حنبل صابر لذلك يحمد الله في ذلك فيراه منه ولم يزل يتوجع من مواضع منه وكان أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن توفي - رحمه الله - (١).

رحم الله الإمام أحمد ، أهانت الأمة ومزقت جسده ، وأورثته عللاً سببت له الوفاة .

#### ● رد الإمام أحمد صلاة أمير المؤمنين:

أحسن حكام المسلمين أنهم أخطأوا في حق الرجل فأخرج من السجن وبعث أمير المؤمنين إلى الإمام أحمد بمال كثير ، فقال له رسول أمير المؤمنين : يا أبا عبد الله أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول : قد أحببت أن آنس بقربك وأن أتبرك بدعائك ، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك ، أخرج صرة فيها بدرة نحو مائتي دينار والباقي دراهم صحاح ، فلم ينظر إليها

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

ثم شدها يعقوب وقال له : أعود غداً حتى أبصر ما تعزم عليه وانصرف .  
يقول صالح بن الإمام أحمد : فجئت بإجانة<sup>(١)</sup> خضراء فكبتها على  
البدره ، فلما كان عند المغرب قال : يا صالح خذ هذا صيره عندك فصيرتها  
عند رأسي فوق البيت . فلما كان سحر إذا هو ينادي : يا صالح فقممت  
فصعدت إليه فقال : ما نمت ليلتي هذه . فقلت : لم يا أبت ؟ فجعل يبكي  
وقال : سلمت من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم ، قد عزمت  
على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت . فقلت : ذاك إليك فلما أصبح قال :  
جنني يا صالح بميزان . وقال : وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار . ثم قال :  
وجه إلى فلان يفرق في ناحية وإلى فلان فلم يزل حتى فرقها كلها ونفضت  
الكيس ، ونحن في حالة الله تعالى بها عليم . فجاء بُني لي فقال : يا أبت أعطني  
درهماً . فنظر إلي فأخرجت قطعة فأعطيته وكتب صاحب البريد : إنه قد  
تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس . قال علي بن الجهم : فقلت :  
يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ؟ وإنما  
قوته رقيق . فقال لي : صدقت يا علي<sup>(٢)</sup> .

#### ● الإمام أحمد بن حنبل مجاب الدعوة :

عن علي بن أبي حرارة قال : كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة .  
فقال لي يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لي . فمضيت  
فدققت عليه الباب . فقال : من هذا ؟ فقلت : رجل من أهل ذلك الجانب ،

(١) الإجانة : إناء يغسل فيه بالماء .

(٢) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٥ .

سألني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها . فسمعت كلامه  
كلام رجل مغضب وقال : نحن أحوج أن تدعو الله لنا . فوليت منصرفاً  
فخرجت عجوز من داره فقالت : أنت الذي كلمت أبا عبد الله ؟ قلت :  
نعم . قالت : قد تركته يدعو الله لها . قال : فجئت من فوري إلى البيت  
فدققت الباب فخرجت علي رجلها تمشي حتى فتحت لي الباب وقالت :  
قد وهب الله لي العافية<sup>(١)</sup> .

#### ● وفاة الإمام أحمد بن حنبل :

قال المروزي : مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر  
ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ومرض تسعة أيام وتسامع الناس  
فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون ، فربما أذن للناس فيدخلون  
أفواجا يسلمون عليه ، فيرد عليهم بيده .

و قال أبو عبد الله : جاءني حاجب لابن طاهر فقال : إن الأمير يقرئك  
السلام وهو يشتهي أن يراك . فقلت له : هذا مما أكره ، وأمير المؤمنين أعفاني  
مما أكره<sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما حضرت أبي الوفاة جلست  
عنده ويدي الخرقة لأشد بما لحية . فجعل يعرق ثم يفيق . ثم يفتح عينيه  
ويقول بيده هكذا : لا بعد لا بعد . ففعل هذا مرة وثانية . فلما كان في الثالثة  
قلت له : يا أبت أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت ؟ تعرق حتى نقول

(١) المرجع السابق ص ٥٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٤٧ .

قد قضيت. ثم تعود فتقول: لا بعد لا بعد. فقال لي: يا بني ما تدري ما قلت؟ قلت: لا. فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضاً على أنامله يقول لي: يا أحمد فُتني. فأقول: لا بعد لا بعد حتى أموت.

و عن حنبل قال: أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذا من شعر النبي ﷺ. فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة وشعرة على لسانه. ففعل ذلك بعد موته.

وعن صالح بن أحمد قال: قال لي أبي جثني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاوس أنه كان يكره الأنين. فقرأته عليه فلم يثن إلا في الليلة التي مات فيها.

ويقول ابنه أيضاً: ووضأته فقال: خلل الأصابع. فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس حتى ملأوا السكك والشوارع. فلما كان صدر النهار قبض رحمه الله، فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت<sup>(١)</sup>.

#### • أمة تشيع أمة كان قانتاً لله :

و عن بنان بن أحمد القصباني أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل فيمن حضر. قال: فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة. وحُزِرَ مَنْ حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة. و عن موسى بن هارون قال: يقال إن أحمد بن حنبل لما مات مسح

(١) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٧.

الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس عليها للصلاة فحزرو مقادير الناس بالمساحة على التقدير ستمائة ألف وأكثر، سوى ما كان في الأطراف والجوالي والسطوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف ألف<sup>(١)</sup>.

#### • إسلام كثير من اليهود الذين عايشوا وفاة الإمام :

لقد أثرت وفاة الإمام أحمد في الناس وفي جميع أهل الأديان الأخرى ولقد أسلم كثير من اليهود من عظمة هول هذا الحدث:

فعن محمد بن عباس الشكفي قال: سمعت الوركاني يقول: أسلم يوم مات أحمد بن حنبل عشرة آلاف من اليهود والنصارى والمجوس، قال: وسمعت الوركاني يقول: يوم مات أحمد بن حنبل وقع المائتم والنوح في أربعة أصناف من الناس المسلمين. واليهود والنصارى والمجوس<sup>(٢)</sup>.

#### • الثناء على أحمد بن حنبل :

١- عن سلمة بن شبيب قال: كنا في أيام المعتصم يوماً جلوساً عند أحمد ابن حنبل فدخل رجل فقال: مَنْ منكم أحمد بن حنبل؟ فسكتنا فلم نقل شيئاً. فقال أحمد بن حنبل: ها أنا أحمد فما حاجتك؟ قال: جئتك من أربع مائة فرسخ برأً وبحراً، كنت ليلة جمعة نائماً فأتاني آت فقال: أتعرف أحمد بن حنبل؟ قلت: لا. قال: فأت بغداد وسل عنه، فإذا رأيته فقل له إن الخضر يقرئك السلام ويقول لك إن ساكن السماء الذي على عرشه راضٍ عنك. والملائكة راضون عنك بما صيرت نفسك لله. فقال أحمد: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

(١) المرجع السابق ص ٥٤٧، ٥٤٨.

(٢) حلية الأولياء ج ٩ ص ١٨٠.

الك حاجة غير هذه؟ قال: ما جنتك إلا لهذا فتركه وانصرف<sup>(١)</sup>.

٢- وعن حبيش بن الورد قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا نبي الله ما بال أحمد بن حنبل؟ فقال: سيأتيك موسى عليه السلام فاسأله فإذا بموسى عليه السلام فقلت: يا نبي الله ما بال أحمد بن حنبل؟ فقال: أحمد بن حنبل بُلِيَ في السراء والضراء فوجد صديقاً فألحق بالصديقين<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن عبد الله بن القاسم القرشي قال: سمعت المروزي يقول: رأيت أحمد بن حنبل في المنام وعليه خُلَّتَانِ خضراوتان وفي رجله نعلان من الذهب الأحمر شراكهما من الزمرد الأخضر وعلى رأسه تاج من النور مرصع بالجوهر وإذا هو يخطر في مشيته فقلت له حبيبي يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي لا أعرفها لك؟ قال: هذه مشية الخدام في دار السلام، فقلت: حبيبي أبا عبد الله ما هذا التاج الذي أراه على رأسك؟ قال: إن الله ﷻ غفر لي وأدخلني الجنة وحباني وكساني وتوجني بيده وأباحني النظر إليه وقال لي يا أحمد فعلت بك هذا لقولك القرآن كلامي غير مخلوق<sup>(٣)</sup>.

٤- ذكر ابن مجمع بن مسلم قال: كان لنا جار قُتل بقزوين . فلما كان الليلة التي مات فيها أحمد بن حنبل خرج إلينا أخوه في صبيحتها فقال: إني رأيت رؤيا عجيبة. رأيت أخي الليلة في أحسن صورة راكباً على فرس فقلت له: يا أخي أليس قد قتلت بقزوين؟ قال: إن الله ﷻ أمر الشهداء وأهل السماوات أن يحضروا جنازة أحمد بن حنبل. فكنت فيمن أمر بالحضور.

(١) المرجع السابق ص ١٨٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٩.

(٣) المرجع السابق.

فأرخصنا تلك الليلة فإذا أحمد بن حنبل مات فيها<sup>(١)</sup>.

٥- وذكر ابن مجمع عن أبي القاسم الأحول: حدثنا يعقوب بن عبد الله قال: رأيت سرياً السقطي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أباحني النظر إلى وجهه. فقلت: ما فعل أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر؟ فقال: شغلا بأكل الثمار في الجنة<sup>(٢)</sup>.

٦- وعن أبي يوسف بن الحبان قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلاً فقال: ما هذا؟ ف قيل له: أما علمت أنه نُور لأهل القبور قبورهم بتزول هذا الرجل بين أظهرهم قد كان فيهم يعذب فرحم<sup>(٣)</sup>.

٧- وعن أبي علي بن البناء قال: لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل فرآها بعد ليالٍ فقال: ما فعل الله بك؟ فقالت: يا بُني رضى الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل تزل على قبره في كل ليلة أو قال في كل ليلة جمعة رحمة تعم جميع أهل المقبرة وأنا منهم.

رحم الله (أحمد بن حنبل)

(١) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٢) المرجع السابق ص.

(٣) صفة الصفوة ج ١ ص ٥٤٨.

## وقفه تأمل

هؤلاء هم الأئمة الأربعة: أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .  
شموس أضاءت سماء الأمة الإسلامية، فأرسلت سناها فأزاحت دياجيرها  
وبددت غسقها، وأنارت للأمة دروبها، وطافت بالأمة أفكارهم وتواری الجهل  
بفقههم . فكشفوا غوامض النصوص وأبرزوا المعقول في صورة المحسوس .  
وبينوا الغرض من السنة وفرّقوا بين الركن والسنة والهيئة . وبينوا الأحكام  
فيها . أراحوا المسلمين بفقه العبادات والمعاملات، ووضعوا الأصول في قوالها  
والفروع في أظرفها، فبزوغ هذه الشموس في سماء هذه الأمة كان رحمة لها،  
والذين يقولون الآن نحن لا نأخذ بآراء هؤلاء الأئمة، بل نأخذ بالكتاب  
والسنة، وزاد بعضهم على هؤلاء الأئمة بالشتم والسب وسهى هؤلاء  
القاذفون عن أن الأئمة لم يخرجوا عن محيط الكتاب والسنة، بل كانوا رحمة  
للأمة، فالشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ بحر يتفرع عنه جميع أبحر العلوم  
النافعة، وعلماء هذه الأمة متصلون بعين الشريعة عن طريق الكشف والبيان،  
واغترفوا منها ولا غرو فإن الشريعة كالشجرة العظيمة . وأقوال الأئمة  
كالفروع والأغصان . فلا يوجد لهم فرع من غير أصل ولا ثمر من غير غصن .  
فهؤلاء الأئمة على هدى من ربهم، ولا يصح أن يجتمع مثلهم على ضلالة،  
فكل قول من أقوال علماء هذه الأمة موافق للشريعة في نفس الأمر وإن لم  
يظهر لبعض المقلدة ذلك . كما أن كل قول من أقوال علماء هذه الشريعة  
موافق لشريعة نبيٍّ ممن تقدم . وأن من عمل بما اتفق عليه العلماء كلهم فكأنه  
عمل بغالب شرائع الأنبياء . وربما كان له من الأجر كأجر جميع أتباع الأنبياء

كلهم إكراماً لأمة سيدنا محمد ﷺ» (١).

و الأئمة على هدى من ربهم وإن تفاوتوا في العلم والفضل، ولا يجوز  
لأحد التفضيل الذي يؤدي إلى نقص قياساً على ما ورد في تفضيل الأنبياء .  
فلقد حرّم العلماء التفضيل المؤدى إلى نقص نبي أو احتقاره، وقد وقع  
الاختلاف بين الصحابة في الفروع . وانتشروا في الأمصار وكلهم مصيب .  
وأخذ الأئمة عنهم، فاختلافهم رحمة أى توسعة للأمة في أمور دينها . فقول  
الرسول ﷺ «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» والأئمة قد أخذوا عن  
الرسول ﷺ وعن الصحابة.

هذا وبالله التوفيق

انتهيت من تأليف هذا الكتاب في اليوم الموافق لميلادى

وهو ٢٣ / ٧ / ٢٠٠٥

أستاذ دكتور

شحات حبيب الفيومى

(١) الميزان الكبرى الشعرانية ج ١ ص ٣٣.

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- السنة النبوية المشرفة.
- ٣- أئمة الحديث ، للدكتور / الحسيني عبد المجيد هاشم ، سلسلة البحوث الإسلامية.
- ٤- أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام.
- ٥- أحكام القرآن لابن عربي.
- ٦- إحياء علوم الدين ، للإمام حجة الإسلام الغزالي.
- ٧- تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر : أحمد بن علي ، المعروف : بالخطيب البغدادي.
- ٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان.
- ٩- ديوان الإمام الشافعي ، حبر الأمة وإمام الأئمة ، تحقيق الأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٠- سير أعلام النبلاء ، للحافظ، شمس الدين : محمد بن أحمد الذهبي.
- ١١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي.
- ١٢- صفة الصفوة ، للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي.
- ١٣- مجموعة الردود الشاملة ، لسيدى محمد إبراهيم سالم.
- ١٤- المعجم الوجيز.
- ١٥- الميزان الكبرى الشعرانية.
- ١٦- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، للقاضي ، شمس الدين ، أبي العباس : أحمد بن محمد ، المعروف : بابن خلكان ، الشافعي.

## الفهرس

- ٣- المقدمة
- ٧- منزلة العلم في الإسلام
- ٧- أولاً دعوة الإسلام للعلم
- ٩- فضل العلم بأمور الدين
- ١٠- آداب العلم
- ١٣- آداب المتعلم
- ١٥- آداب المعلم
- ١٧- ثمرة العلم
- ١٨- درجات العلماء في الآخرة
- الإمام أبو حنيفة النعمان
- ٢١- اسم الإمام أبي حنيفة
- ٢١- ميلاد أبي حنيفة
- ٢٢- وصف أبي حنيفة
- ٢٣- بزوغ شمس العلم على أبي حنيفة
- ٢٤- ابتداء أبي حنيفة في النظر في العلم
- ٢٥- رؤيا الإمام أبي حنيفة
- ٢٨- في مدرسة حماد بن سليمان العكلى
- ٣٠- جلوس أبي حنيفة في مكان شيخه
- ٣٠- خلاف بين أبي حنيفة وأستاذه
- ٣١- أساتذة أبي حنيفة
- ٣٨- عبد الله بن المبارك يمدح أبا حنيفة بأبيات من الشعر
- ٣٩- أبو حنيفة العابد
- ٤٥- القياس في نظام الإسلام
- ٤٧- درء شبهة
- ٤٨- وقفة تأمل
- ٤٩- عقل أبي حنيفة يثير قضايا ويناقشها
- ٥١- تلاميذ الإمام أبي حنيفة
- ٥١- ميلاد بعض المسائل الفقهية على لسان أبي حنيفة
- ٥٥- في مدرسة أبي حنيفة
- ٦١- سفيان الثوري يأخذ بفتوى أبي حنيفة
- ٦١- دقة أبي حنيفة في الفتوى وتوخى الورع

١٠٦	رحلات الإمام الشافعي
١٠٧	احتكاك فكري في العراق
١١١	موقفه من كتب الأحناف
١١١	بلاء الشافعي
١١٤	وصية الشافعي لمعلم أولاد هارون الرشيد
١١٥	دعوة الإمام الشافعي للعلم
١١٦	منهج الشافعي في فقهه وعدم خروجه عن الكتاب والسنة
١١٧	أقوال العلماء في الإمام الشافعي
١٢٥	عظم نفس الشافعي
١٢٦	من حكم الإمام الشافعي
١٢٨	جولة في رياض شعر الإمام الشافعي

### الإمام أحمد بن حنبل

١٤٥	نسبه ومولده
١٤٥	تاريخ ميلاده
١٤٦	طلبه للحديث
١٤٦	رحلاته في طلب العلم
١٤٦	شيوخ الإمام أحمد بن حنبل
١٤٦	تلاميذه
١٤٧	أقوال العلماء في الإمام أحمد
١٥٠	الإمام أحمد يتحرى الحلال في الطعام والشراب والسلوك
١٥٠	حفظ الإمام أحمد للحديث وعلمه
١٥٢	زهد الإمام وعيشة التقشف
١٥٧	عبادة الإمام أحمد بن حنبل
١٥٨	بلاء أحمد بن حنبل
١٥٩	حديث موجز عن فقه الفتنة والبلاء
١٦٨	الإمام أحمد بن حنبل مجاب الدعوة
١٦٩	وفاة الإمام أحمد بن حنبل
١٧٠	أمة تشيع أمة كان قانتا لله
١٧١	إسلام كثير من اليهود الذين عايشوا وفاة الإمام
١٧١	الثناء على أحمد بن حنبل
١٧٤	وقفه تأمل
١٧٦	المصادر والمراجع
١٧٨	فهرس المحتويات

٦١	أبو حنيفة يفهم القاضي «ابن شبرمة»
٦٣	أبو يوسف وعاء لعلم أبي حنيفة
٦٤	علم أبي حنيفة يجرى سلسلاً على لسان أبي يوسف
٦٥	أبو يوسف يجعل فقه أبي حنيفة مذهب الدولة
٧٠	الإمام أبو حنيفة في بيته
٧٣	بر أبي حنيفة بأمه
٧٤	الإمام التاجر
٧٨	بلاء أبي حنيفة وعزوفه عن المناصب والمراتب
٧٩	حوار بين أبي جعفر وأبي حنيفة
٨٠	نجم أقل

### الإمام مالك بن أنس

٨٣	نسبه
٨٣	مولده
٨٣	نشأته في طلب العلم
٨٥	الإمام مالك قوى الحافظة
٨٦	رؤى النبي ﷺ شهادات لمالك
٨٧	إجازة العلماء للإمام مالك للفتيا
٨٧	شهادة سبعين عالماً لمالك بالإفتاء
٨٨	الإمام مالك يصف العلم ويصف العلماء
٨٨	تخيّر الإمام مالك لإلقاء الحديث
٨٩	التحرى والدقة في فتوى الإمام مالك -
٩٠	الإمام مالك صمام أمان للمسلمين
٩٢	صفة الإمام مالك
٩٣	بلاء مالك بن أنس كبلاء أبي حنيفة
٩٤	أقوال العلماء في الإمام مالك
٩٦	الحديث عن الموطأ
٩٧	الإمام مالك يرفض التعصب للموطأ
٩٩	وفاة الإمام مالك

### الإمام محمد بن إدريس الشافعي

١٠٤	نسبه
١٠٤	تاريخ ميلاده
١٠٤	نشأته
١٠٥	طلبه للعلم



